أندريه چيد

من أبطال الأساطير اليونانية

أوديب و ثيسيوس

ترجمة
طه حسين

دار الكاتب المصري

Mon cher André Gide,

Pour vous avoir entendu nous lire «Œdipe» et «Thésée», je sais la particulière tendresse que vous avez pour eux.

C'est pourquoi je leur appris l'arabe, afin qu'ils puissent aux lecteurs de l'Orient dire votre message, qui est confiance, courage, sérénité.

Ils témoigneront aussi de cette grande admiration que j'ai pour vous, et qui, depuis notre rencontre, est devenue une si précieuse amitié.

TAHA HUSSEIN

Le Caire, le 7 Octobre 1946.

صديق أندريه جيد

سمعتك تقرأ لنا قصتي « أوديب » و « ثيسيوس » فعرفت الحنان الخاص الذي تؤثرها به .

ومن أجل هذا علمتهما العربية ليبلغا إلى قراء الشرق رسالتك التي هي ثقة وشجاعة واستبشار .

وسيشهدان كذلك بما أضمر من إعجاب بك قد أصبح منذ التقينا وداً كريماً .

طه حسين

القاهرة ، ٧ أكتوبر ١٩٤٦

مقـــــدمة

١

كان لايوس Laïus منذ ارتقى إلى عرش ثيبا Thèbes
يحيا حياة سعيدة راضية مع زوجه جوكاست Jocaste .
ولم يكن يكدّر صفو هذه السعادة إلا شئ واحـد وهو
أن الزوجين لم يرزقا الولد . فخطر للملك أن يستشير أبولون
Apollon في محنته هذه لعله أن يجد له منها مخرجاً ،
وأن يتم عليه نعمة الملك السعيد المجيـد الذى لا يقتصر
على شخص صاحب العرش ، وإنما ينتقل منه إلى ذريته
التى تتوارثه أجيالها إلى آخر الدهر . فلم يكن لايوس

قصير الأمل ، ولا محدود الأمد . لم يكن يريد أن يملك ليس غير ، وإنما كان يريد أن ينشئ أسرة مالكة . ولكن أبولون لم يكن سمحاً ، ولا مواتياً ، فأظهر للملك في شيء من الإلغاز ما خبأه له القضاء . أعلن إليه أنه إن رزق الولد فسيقتله ابنه . وقد عاد لايوس من معبد أبولون مهموماً ، شديد الحزن ، موزع النفس بين الحرص على الحياة والرغبة في الولد الذي يرث الملك ، ويخلد الذكر . وقد شك طويلا أو قصيراً بين هاتين العاطفتين ، ولكنه آثر الحياة آخر الأمر على الولد ، فرضي العُقْم بل رغب فيه وحرص عليه . غير أن القضاء ماض إلى غايته دائماً ، فما هي إلا أن يرزق لايوس من زوجه چوكاست هذا الغلام الذي أنذره أبولون بأنه سيذيقه الموت . هنالك استأثر الحرص على الحياة بنفس الملك ، فأزمع أن يقتل ابنه قبل أن يقتله هذا الابن ، وأسلم الطفل إلى راع من رعاته ، وكلفه

أن يلقيه على الجبل نهباً للسباع . ولكن الراعى لم يكن قاسى القلب ولا غليظ الطبع ، فلم يُلق الطفل على الجبل ولم يقتله ، وإنما أسلمه إلى راع آخر لملك كورنت Corinthe فى بعض الروايات ، أو علقه إلى شجرة من أشجار الجبل من رجليه اللتين شقهما ، وجمع بينهما بحبل متين . ومهما يكن من اختلاف الروايات ، فإن الصبى لم يمت نهباً للسباع ، ولا نَهباً للجوع والبرد والجراح ، وإنما تلقاه راعى كورنت فعطف عليه ورفق به . وكان ملك كورنت بوليب Polybe شقيًّا بعقم امرأته ميروب Mérope ، فيدفع الراعى إليه هذا الصبى ويتبناه الملك وينشئه تنشئة أبناء الملوك . وقد شب الصبى قوى الجسم والنفس جميعاً ، ماضى العزم ، صارم الإرادة ، معتدًّا بنفسه ، جاهلا لأصله ، بعيد الأمل مع هذا كله عظيم الأطماع . ولكنه يرى من لداته وأترابه ما يريبه ، فهم يلمحون له بأنه ليس ابن الملك . وهو يضيق

بهذه الريبة ويريد أن يعرف جلية أمره ، فيذهب إلى معبد أبولون ليتبين حقيقة الأمر فى وحى الإلـه . والقضاء صارم حازم قاس لا يعرف رفقاً ولا ليناً ، وإذا أبولون لا ينبئ الفتى بأصله ، ولا يزيل من نفسه الريبة ، وإنما يضيف شكاً إلى شك وخوفاً إلى خوف ، فينبئ الفتى بأنه سيقتل أباه ، وسيتزوج من أمه ، وسيقترف هاتين الخطيئتين المنكرتين .

وكان لايوس قد أراد أن يقاوم القضاء فيتخلص من هذا الصبي الذى سيذيقه الموت ، فانتصر القضاء على إرادة لايوس ، وعاش الصبي ونما حتى أصبح قادراً على اصطناع السلاح . وهذا الفتى ينبئه أبولون بأنه سيقتل أباه ويقترن بأمه ، فيريد أن يقاوم القضاء ، وهو لا يعرف لنفسه أباً غير پوليب ملك كورنت ، ولا إماً غير ميروپ ملكتها . فليجتنب إذن كورنت ، وليأخذ طريقه إلى أى بلد آخر

بعيد عن هذه المدينة حتى لا يُغرى بقتل أبيه أو اتخاذ أمه لنفسه زوجاً . وإنه لفي بعض الطريق عند مكان شديد الضيق ، وإذا عربة تعترضه وتأخذ عليه سبيله ، فيكون الخصام باللسان ، ثم يكون الاقتتال ، وإذا الفتى يقتل صاحب العربة ، وقد تفرق من كان معه من خدم وأنصار . ويمضى الفتى لوجهه راضياً عن نفسه ، مطمئناً لحسن بلائه ، غير مقدر أنه قد أنفذ بعض ما كتب القضاء عليه ، فقتل أباه ، واقترف أحد الإثمين اللذين أنذره بهما أپولون . وهو يمضى فى طريقه حتى يدنو من مدينة ثيبا ، فيسمع بأن المدينة مروعة بخطر داهم ونكر مبين . فهذا كائن غريب قد هبط عليها من السماء أو نجم لها من الأرض ، جاءها من حيث لا تعلم على كل حال ، واستقر غير بعيد من المدينة على صخرة مرتفعة يرصد من يمر به من الناس ، فيلقى عليهم لغزه الغريب : ما كائن له صوت واحد ، يمشى على أربع إذا

أصبح ، وعلى اثنتين إذا زالت الشمس ، وعلى ثلاث إذا أقبل المساء ؟ وهذا الكائن الغريب الذى اتخذ جسم الأسد ، ورأس المرأة ، ووصل بجسمه جناحين ، والذى يسميه اليونان سفنكس Sphinx ، ويسميه المصريون القدماء بو الهول ، أو أبا الهول ، لا يعفى أحداً من الإجابة على هذا السؤال وحل هذا اللغز . والناس جميعاً يعجزون عن الإجابة ولا يجدون حلاً لهذا اللغز ، وهو يعاقبهم بالموت على هذا العجز والإخفاق . وقد عظم الكرب ، وعم البلاء ، وامتلأت قلوب أهل المدينة خوفاً ورعباً ، حتى اضطر كريون Créon أخو الملكة چوكاست والناهض بأعباء الملك بعد قتل لايوس أن يذيع فى أقطار الأرض أن من أراح المدينة من هذه المحنة فله تاجها وله الملكة زوجا .

وقد سمع الفتى بأنباء هذا الكائن الخطر ، وبهذا الوعد

الرائع الذى يبذل لمن ينقذ منه هذه المدينة البائسة ، وهو قوى الجسم والنفس ، ذكى القلب ، حديد الفؤاد ، بعيد الأمل ، شديد الطموح ، فيقبل على أبى الهول يجرب ذكاءه وقوته ، ويغامر بحياته فى سبيل المجد والملك . وأبو الهول يلقى عليه السؤال فيجيبه الفتى بأن الإنسان هو الذى يمشى على أربع إذا أصبح لأنه يحبو فى الطفولة ، ويمشى على اثنتين إذا انتصف النهار لأن قامته تعتدل وتستقيم إذا شب ، ويمشى على ثلاث إذا أقبل المساء لأنه ينحنى على العصا إذا أدركته الشيخوخة ، وقد انهزم أبو الهول وألقى بنفسه من أعلى الصخرة فمات . وظفر الفتى بعرش ثيبا ، واتخذ الملكة له زوجا ، واطمأن إلى أنه قد أفلت مما تنبأ له به وحى أبولون ، فلم يقتل أباه ، وأين هو من عابر السبيل ذاك الذى قتله ! ولم يقترن بأمه ، وأين هو من ملكة ثيبا هذه التى تزوج منها ! لقد ترك

أبويه فى كورنت وأسس لنفسه ملكا جديداً ، وقد رضى عن رعيته ورضيت عنه رعيته ورزق الولد . فله ابنان إتيوكل Etéocle وپولينيس Polynice ، وله ابنتان أنتيجون Antigone وإسمين Ismène . وهو يرى نفسه سعيداً موفوراً راضى النفس رخىّ البال . ولكن المدينة تُمْتَحَن ذات عام بوباء يفسد عليها أمرها كله فساداً عظيما ؛ فقد هلك الزرع وجف الضرع وأسرف الموت فى كل حى ؛ فالطير تساقط من السماء ؛ والماشية تخر إلى جنوبها ، والناس يستبقون إلى القبور حتى تضيق بهم وحتى يعجز بعضهم عن دفن بعض ، وقد عم البلاء وعظم الكرب واشتدت المحنة حتى بلغت أقصاها . وأهل المدينة يستعطفون الآلهة بالضحايا والقرابين ويتوسلون إليهم بالصلاة والدعاء ، فلا يغنى عنهم هذا كله شيئاً . وهم قد هرعوا إلى ملكهم يفزعون إليه ويستعينونه ، فيرسل

الملك إلى معبد أبولون من يؤامر الإله ويستشيره فى هذا البلاء العظيم . ويعود رسول الملك إليه يحمل جواب الإله واضحاً غامضاً ومُعمّى صريحاً ، كما تعوّد أبولون أن يجيب دائماً . أجاب أبولون بأن الآلهة لن يكشفوا الضر عن هذه المدينة إلا إذا ثأرت للايوس من قاتله .

ولم يكد الملك يتلقى هذا الجواب حتى أعلن فى حزم وصرامة أنه باحث عن هذا القاتل ومنزل به أشد العقاب ، وأنه يطلب إلى أهل المدينة أن يعاونوه على ذلك فى غير تردد ولا ضعف مهما يكن هذا القاتل . ثم هو لا يكتفى بذلك بل يستنزل اللعنات وغضب الآلهة على هذا المجرم الذى قتل ملكا وعرّض المدينة لشر عظيم . ولكن الملك لا يكاد يبحث عن هذا المجرم حتى تتبين له الحقيقة منكرة بشعة ، فهو المجرمُ الذى قتل لايوس هناك فى ذلك المكان الضيق .

وهو الآثم الذى اتخذ أمه له زوجا وعاش معها فى هذا القصر وأولدها أبناءه الأربعة .

ليس فى ذلك شك ، واسمه نفسه يدله على ذلك دلالة قاطعة ، فهو أوديب Œdipe ذو الرجل المتورمة ، ورجله متورمة حقًا من أثر ذلك الثقب الذى علق به إلى الشجرة فى طفولته الأولى على الجبل . يعرف ذلك من الراعى الذى كُلّف قتله ، ويعرف ذلك من الراعى الذى أنقذه من الموت وأسلمه إلى ملك كورنت . هنالك يتبين أوديب وتتبين چوكاست أن لا مردّ لما كتب القضاء . فلم يغن عن لايوس تخلصه من الصبى ، فقد عاش الصبى حتى قتله . ولم يغن عن چوكاست تخلصها من الصبى فقد عاش الصبى حتى اقترن بها . ولم يغن عن أوديب فراره من قصر كورنت وتجنبه ملكها وملكتها هرباً من الإثم ، فلم يكن من هذين الزوجين فى شئ . وإنما هو ابن لايوس وقد قتل

لايوس ، وابن جوكاست وقد تزوج من جوكاست . والمهم أنه قد عرف القاتل الذى يجب أن يثأر منه لتخلص المدينة من هذا البلاء ، فيجب أن يثأر من نفسه إذن ، فإن لم يفعل فستثأر منه المدينة التى لم تكن ترى فيه ملكا فحسب ، وإنما كانت ترى فيه شيئاً يشبه الإله .

فأما جوكاست فلم تكد تظهر على الحقيقة البشعة حتى خنقت نفسها . وأما أوديب ففقأ عينيه بيديه حتى لا يرى الضوء .

وتختلف الروايات بعد ذلك أو قل تختلف الروايات قبل ذلك ، ويزيد فى اختلافها فن شعراء الممثلين الذين اتخذوا هذه القصة موضوعاً للتمثيل ؛ فقوم يرون أن جوكاست لم تقتل نفسها ، وإنما عاشت حتى رأت اختلاف ابنيها على العرش وتساقيهما الموت ، ولم تقتل نفسها إلا بعد أن رأتهما صريعين . وقوم يرون أن أوديب قد نفى

نفسه من الأرض بعـد أن فقأ عينيه وهام غريباً تقوده ابنته أنتيجون حتى انتهى آخر الأمر إلى ضاحية من ضواحي أثينا فمات فيها . وآخرون يرون أنه لم ينف نفسه ، وإنما نفاه ابناه بعـد أن وليا الملك . وآخرون يرون أن ابنيه قد أمسكاه فى القصر ولم ينفياه ، وإنما نفاه كريون بعد أن مات ابناه ، فلجأ إلى الضاحية الأثينية ومات فيها .

هذه هى القصة التى روتها الأساطير اليونانية منذ أبعد العصور ؛ فقـد تحدثت بها الأودِسّة *L'Odyssée* فى نشيدها الحادى عشر ، كما تحدثت بها أقاصيص ثيبا نفسها بعد ذلك .

٢

والشعراء الممثلون من اليونان يعتمدون فى تمثيلهم بحكم الفن نفسه وبحكم الدين أيضاً على الأساطير . فالأبطال

القدماء هم موضوع المأساة اليونانية التى تصور حياتهم أو تصور ماتمتاز به حياتهم من المحن والخطوب . وتصوير هذه المحن التى ألمت بالأبطال وعرضها على النظارة فى ملاعب التمثيل شىء كان الأثينيون يرونه فنًّا ويرونه ديناً . فيه الجمال الأدبى الذى يعظ النفس ويذكى القلب ويثير العاطفة وينمى الفضيلة ويرفع الإنسان عن صغائر الحياة إلى جلائل الأمور ، وفيه تقديس الآلهة وتمجيد الأبطال والإشادة بالقديم وما فيه من مآثر كتب لها الخلود . وقد كان اليونان قبل أن ينشأ فن التمثيل وقبل أن ينشأ فن الغناء نفسه يتقربون إلى آلهتهم بإنشاد الشعر القصصى والاستماع له . ثم نشأ الغناء فتقربوا به إلى الآلهة ، يتغنون حياة الأبطال وحياة الآلهة وما عرض لهم فيها من خير وشر . ثم نشأ فن التمثيل فتقربوا به إلى الآلهة كما كانوا يتقربون بالقصص والغناء . ومن أجل هذا كله تغيرت صور

الفن الشعرى عند اليونان ولم يتغير موضوعه . فالأبطال والآلهة هم موضوع القصص فى الإلياذة والأودسة ، وهم الموضوع الأساسى لغناء المغنين ، وهم الموضوع الأساسى لتمثيل الممثلين أيضاً . ومع ذلك فتغير الصورة له خطره العظيم وإن بقى الموضوع ثابتاً مستقراً ، ذلك أن الصورة لم تتغير إلا لأن النفس اليونانية قد تغيرت بحكم ما أحاط بالشعب اليونانى من الظروف . فقد كان القصص اليونانى صورة لحياة الجماعة لا يكاد يظهر فيها من الأفراد إلا شخصية الآلهة والأبطال ، بل لا تظهر فيها شخصية الشاعر نفسه . فلما ارتقت الحضارة وذكت القلوب وقويت شخصية الفرد ، تغيرت صورة الشعر ، فظهر شخص الشاعر أولا وأصبح الشعر لا يضاف إلى شاعر مجهول يسمى هوميروس مهما يكن موضوعه ، وإنما يضاف إلى شعراء معروفين يراهم الناس ويتحدثون إليهم

ويتحدثون عنهم ، وأصبح الشعر لا يصور الآلهة والأبطال الممتازين وحدهم ، وإنما يصور شخصية الشاعر نفسه ، ويصور معها شخصية كثير من الأفراد ، وما يجدون من لذة وألم ومن حب وبغض ومن عاطفة وشعور بوجه عام ، ثم أصبح الشعر لا ينشد إنشاداً يسيراً تسنده بين حين وحين نغمات ساذجة توقع على أداة ساذجة من أدوات الموسيقا ، وإنما ينشد إنشاداً معقداً يتشكل فيه الصوت بالأشكال المختلفة التي يقتضيها الغناء ، وتسنده وتريح منه أحياناً أدوات موسيقية كثيرة مختلفة ، ويسنده الرقص أيضاً بحيث يوشك أن يشبه الأوپرا في عصرنا الحديث لولا أنه كان يخلو من حركة التمثيل . ثم تتقدم الحضارة ، ويرقى العقل ، وتقوى الشخصية ، وتظفر الشعوب في المدن بحقوقها السياسية ، فتتغير صورة الشعر . وإذا الحوادث التي كانت تقص في الشعر القصصي ، وتغنى

فى الشعر الغنائى ، قد أصبحت تعرض على النظارة فى ملعب التمثيل يجريها الشاعر على أيدى أشخاص يمثلون الأبطال والآلهة أنفسهم . وهذا التمثيل نفسه لا يخلو من الغناء والرقص توقعهما الجوقة وقد يشارك فيهما كليهما أوأحدهما الممثلون . وقد أصبح جمهور النظارة ذا شأن خطير ؛ فهو يشارك فى حفلات التمثيل لا بشهود التمثيل فحسب ، ولكن كذلك بالقضاء بين المستبقين من الشعراء الممثلين . وقد كان الشعراء يشاركون بأنفسهم فى التمثيل أول الأمر ، ثم نشأت طائفة الممثلين المحترفين ، وجعل الشعراء يكتفون بإنشاء الشعر وإرشاد الممثلين وأعضاء الجوقة .

كذلك كانت الحال فى القرن الخامس قبل المسيح حين عرض الشعراء الثلاثة الممتازون : إيسكولوس Eschyle وسوفوكل Sophocle وأوريبيد Euripide لحياة الأبطال

والآلهة فعرضوها فى الملاعب على النظارة من الأثينيين .

وكان من نتيجة هذا كله أن هؤلاء الشعراء وغيرهم من الشعراء الممثلين كانوا يرون من الطبيعى والمألوف أن يعرضوا للموضوعات التى سبقهم إليها القصاص والمغنون ، فينشئوا فيها قصصهم التمثيلى ، بل كان من الطبيعى والمألوف أن يعرض المتأخر منهم لما عرض له المتقدم ، لايجدون فى ذلك حرجا ، بل يجدون فيه سبيلا إلى الإجادة والإتقان . فقصة أوديب مثلا قد عرض لها إيسكولوس ثم عرض لها بعده سوفوكل ، ثم عرض لها بعدهما أوريبيد ، ثم عرض لها شعراء آخرون من اليونان لم يجد أحد فى ذلك حرجا . وهذه السُّنَّة التى سنها اليونان قد انتقلت منهم إلى غيرهم من الأمم ؛ فالرومان فى العصر القديم حين حاولوا التمثيل اتخذوا أكثر الموضوعات لقصصهم من التمثيل اليونانى نفسه . فقصة أوديب مثلا

عرض لها منهم غير شاعر . وامتازت قصة سينيك Sénèque من هذه القصص التى وضعها الشعراء اللاتينيون . وجرى الأمر على ذلك بعد النهضة الأوربية فى العصر الحديث ، فاستعار شعراء التمثيل من الإنجليز والألمان والإيطاليين والفرنسيين خاصة موضوعات شعرهم التمثيلى من تمثيل اليونان والرومان . وقد وضع الشاعر الإنجليزى دريدن Dryden فى القرن السابع عشر قصة أوديب ، كما وضع الشاعر الإيطالى ألفييرى Alfieri فى القرن الثامن عشر قصة أوديب أيضاً . أما الفرنسيون فقد فتن شعراؤهم وكتابهم بقصة أوديب منذ أواخر القرن السادس عشر إلى الآن . ولست أحصى شعراءهم الذين عرضوا لهذه القصة ، وإنما أذكر أن كورنى Corneille قد وضع قصة تمثيلية لأوديب فُتن بها معاصروه ، وأن ڤولتير Voltaire قد وضع فى أول القرن الثامن عشر قصة لأوديب كثر حولها الحديث والنقد ،

وأن شاعرين فرنسيين هما دى سيس Ducis وشينيه [1] M. J. Chénier وضعا قصتين لأوديب فى آخر القرن الثامن عشر وأول القرن التاسع عشر . أما فى هذا القرن العشرين فقد عنى بأوديب الكاتب الفرنسى العظيم أندريه چيد André Gide فى القصة التى نترجمها فى هذا السفر ، كما عنى به الكاتب الشاعر المعروف چان كوكتو Jean Cocteau فى قصته المشهورة «أداة الجحيم» .

فأنت ترى أن السنّة اليونانية التى أتاحت للشعراء ألا ينفروا مما سُبقوا إليه قد أصبحت سُنّة أدبية إنسانية . شائعة على اختلاف العصور . وأنت ترى كذلك أن قصة أوديب وحدها قد شغلت شعراء كثيرين فى الأمم المختلفة على اختلاف العصور ، وما زالت تشغل الشعراء والكتاب إلى الآن . وأكبر الظن أنها ستشغلهم دائماً .

(١) هو أخو الشاعر الغنائى العظيم أندريه شينيه .

٣

ولا أكاد أذكر من القصص اليونانى القديم الذى شُغِل به المحدثون شيئاً تجاوز القرن السابع عشر والثامن عشر إلا قصة « أفجينى فى توريس » *Iphigénie en Tauride* التى عنى بها جوت ، وقصصاً قليلة أخرى طفت فى القرن العشرين ، أعظمها خطراً قصة « أوديب » هـذه وقصة« إلـكتر » *Electre* و « أمفتريون » *Amphytrion* وقد جددها جان جيرودو Jean Giraudoux ، وقصة أنتيجون وقد جددها جان كوكتو بين الحربين ثم جددها جان أنوى Jean Anouilh فى هذه الأعوام الأخيرة وهنـاك قصص تمثيلية معاصرة جددت أو حاولت أن تجدد بعض القصص التمثيلى اليونانى القديم ، ولـكنها لم تبلغ الملعب أو لم تظفر فيه بفوز باهر ونجح عظيم .

ولعل المُحْدَثين المعاصرين يؤثرون أن يشهدوا القصص اليونانى يعرض عليهم كما تركه أصحابه مع قليل أو كثير من التغيير ، إلا أن يوجد الكاتب الممتاز الذى يستطيع أن يدل بالقصة اليونانية على أكثر مما وصل إليه الشاعر اليونانى القديم ، أو أن يعرضها فى شكل أشد ملاءمة لروح العصر الحديث .

وهذا هو الذى فعله جيرودو حين اتخذ إلكترا رمزاً لا للانتقام وحده كما فعل القدماء بل للعدل أيضاً . للعدل الذى يجب أن تبلغه الإنسانية وأن تضحى فيه بكل شىء مهما تكن التضحية قاسية ومهما تكن الضحية غالية ، والذى لا يحفل بانثلال العروش وانهيار النظم وإزهاق النفوس وسفك الدماء وصب الدمار على المدن ، بل يرى فى ذلك كله إيذاناً بطلوع فجر جديد . وكما فعل جان بول سارتر Jean-Paul Sartre فى قصة « الذباب » حين أراد

أن يجدد مأساة إلكترا فجعل أخاها هو البطل . ولم يكتف بفكرة الانتقام من الأم التى خانت زوجها وقتلته ، ولا بفكرة العدل التى قصد إليها ووقف عندها چيرودو ، ولكنه عنى بالحرية الإنسانية التى وقفت أورست موقف الثائر على ذوس Zeus المعارض له ، والتى تقف الإنسان الحديث موقف الثائر على كل شئ المزدرى لكل شئ إلا حريته التى تجعله إنسانا يوجد ليعمل مايشاء أن يعمل وليقول مايشاء أن يقول ، غير حافل إلا بنفسه ولا واقف إلا عند نفسه .

إلى شئ من هذا التجديد الأساسى الخطير قصد أندريه چيد حين وضع قصته التمثيلية « أوديب » مجدّدا هذه القصة كما تركها سوفوكل ، غير واقف عند ما انتهى إليه سوفوكل ، ولا حافل بما بلغه كورنى أو ڤولتير أو غيرهما من الشعراء والكتاب المحدثين . وقد يحسن أن نتبين

قبل كل شيء؟ إلامَ أراد سوفوكل حين وضع قصته هذه التي صور فيها مأساة أوديب؟ وقد أضاعت الأيام ما ترك إيسكولوس وأوريبيد وغيرهما من الشعراء القدماء حول هذا الموضوع بحيث أصبحت قصة سوفوكل هي النموذج القديم الوحيد الذي ألهم المحدثين من الأوربيين.

وواضح أن سوفوكل إنما قصد في هذه القصة كما قصد في أكثر قصصه الأخرى إلى ما يصور لنا صرامة القضاء من جهة وحرية الإنسان من جهة أخرى، وإلى أن يلائم بين هذين الضدين المختصمين على نحو ما. فالقضاء صارم قاس بالقياس إلى أوديب وإلى أبويه في هذه القصة، وهو صارم قاس بالقياس إلى أبنائه في قصة أخرى هي قصة أنتيجون.

القضاء صارم قاس لأنه قد كتب في غير حكمة بينة للإنسان على لايوس أن يموت مقتولا بيد ابنه، وكتب على جوكاست أن تقتل نفسها بعد أن تتورط في إثمها ذاك

البشع الشنيع ، وكتب على أوديب أن يكون قاتلا لأبيه متزوجا لأمه مسببا لموتها فاقئا عينيه بيده . ومن البين أن أحدا من هؤلاء الأبطال لم يكن حاضرا حين كتب القضاء ما كتب ، ولم يقترف قبل وجوده إثما يغرى به القضاء ويساط عليه قسوة الأقدار . فهناك إذن علة خفية لا يدركها الإنسان تدفع القضاء إلى أن يدبر أمر النـاس والآلهة كما يشاء . ومن يدرى ! لعل هـذه العلة الخفية لا وجود لها ، ولعل القضاء يمضى كما يريد لا يخضع لقانون ولكنه على كل حال صارم قاس بالقياس إلى الآلهة والناس جميعا . غير أن الإنسان ليس خاضعاً خضوعاً كاملا شاملا مستسلما لهذا القضاء ، وإنما هو مستمتع بشىء من الحرية قد يكون قليلا وقد يكون ضئيل الأثر وقد لا يكون له اثر ما ، ولكنه موجود على كل حال . وآية ذلك أولاً أن الإنسان يريد أن يعرف ما أضمر له القضاء يُعمل فى ذلك

عقله ويستنبئ عن ذلك وحى الآلهة ؛ فهو إذن لا يخضع لأحكام القضاء غير عالم بها أو غير مفترض لوجودها كما يخضع لها الحيوان وكما تخضع لها الكائنات الأخرى التى تأتلف منها الطبيعة . وليس قليلا أن يتلقى الإنسان ما كتب له من خير وما قضى عليه من شر وهو عالم به وعالم بالمصدر الذى يسوقه إليه أو يسلطه عليه .

وهناك آية ثانية على حرية الإنسان أمام القضاء ؛ فهو لا يطمئن إلى العلم بما كتبت الأقدار عليه ، وإنما يحاول أن يخلص مما قضى عليه من الشر . وليس المهم أن ينجح أو يخفق فى هذه المحاولة وإنما المهم أن يحاول . فلايوس وچوكاست يعلمان أن ابنهما سيقتل أباه ويتزوج أمه ، فيحاولان التخلص من هذا الشر بقتل الصبى قبل أن ينمو ويقترف هذه الآثام ، ولا عليهما بعد ذلك أن يفلت الصبى مما دبرا له من الموت . وأوديب يعلم بما دبر

القضاء له ، فيفر من قصر الملك فى كورنت محاولا أن يتجنب الإثم ، ولا عليه بعد ذلك أن يقتل لايوس ، فلو قد عرف أنه أبوه لما قتله ، ولا عليه أن يتزوج جوكاست فلو قد عرف أنها أمه لما اقترن بها . وهناك آية أخرى على حرية الإنسان أمام القضاء ، وهى أعظم من هاتين الآيتين خطراً وهى التى يصورها لناسوفوكل فى قصة « أوديب ملكا » ، ولكنه يصورها تصويراً أعظم روعة وأكثر جلاء فى قصته الأخرى « أوديب فى كولونا » ، وهى أن الإنسان حين يعجز عن رد القضاء لايرى نفسه منهزماً ولا يرى نفسه مسئولا عما تورط فيـه من الإثم . فهو يؤمن بأن التبعة يجب أن تكون نتيـجة للحرية وأن يكون حظ الإنسان من هذه التبعة ملائماً لحظه من الحرية ، فأوديب تدفعه الغريزة الإنسانية الأولى كما تدفعه التقاليـد الموروثة إلى أن يعاقب نفسه حين يستكشف الإثم المروع الذى تورط

فيه ، ولكنه بعد شيء من التفكير يستطيع أن يثبت للقضاء وأن يقف من الآلهة موقف المدافع عن نفسه المحتج لها ، لأنه لم يرد قتل أبيه ، ولم يقتله وهو يعلم أنه أبوه ، ولم يرد الزواج من أمه ولم يتزوج منها وهو يعلم أنها أمه . فإن كان فى هذا كله إثم فليس هو المسئول عن هذا الإثم ، وإنما يسأل عنه القضاء الذى دبره والآلهة الذين ضللوا أوديب حتى تورط فيه على كثرة ما حاول تجنبه والتخلص منه . هو إذن برىء أمام نفسه ، ولا عليه أن يراه الناس بريئاً أو أن يتهموه ويحكموا عليه . على أن أوديب لا يكتفى بذلك وإنما يريد أن يقنع القضاء والآلهة أنفسهم ببراءته ، وهو يبلغ من ذلك ما يريد ؛ فقد رضى الآلهة عنه آخر الأمر فآووه إلى هذه الضاحية من ضواحى أثينا ، وألقوا عليه السكينة ، وأشاعوا فى نفسه الطمأنينة والأمن ، وجعلوا جثته مصدر بركة للبلد الذى تدفن فيه .

وهم قد عاقبوا مدينة ثيبا فأثاروا فيها الفتنة بين الأخوين الملكين ، وحرموها هذه البركة المتصلة بشخص أوديب حين قضوا ان يموت غريباً وأن يدفن فى بلد غريب .

وإذن فقد انتهت حرية الإنسان إلى شىء من الفوز . لم تستطع أن تجنب صاحبها المحنة ولا أن تنقذه من الشر فى هذه الحياة ، ولكنها قد صفّت نفسه وطهرت قلبه واستخلصته من الآثام كما يستخلص المعدن النقى مما يحيط به من الخبث . فليست هذه المحنة إذن إلا تجربة لحرية الإنسان ، ووسيلة إلى تصفية نفسه وتنقية جوهره إن استطاع أن يثبت للآلام وينفذ من الخطوب .

إلى هذا كله أراد سوفوكل حين كتب قصتيه اللتين صوّر فى إحداهما محنة أوديب ملكا ، وفى أخراهما نجاة أوديب منفيًّا بائساً طريداً . ويجب أن نعترف بأن الذين أرادوا أن يقلدوا سوفوكل لم يبلغوا مما أرادوا شيئاً

ذا خطر ، لا أستثنى منهم إلا المعاصرين من الكتّاب الفرنسيين .

فالكاتب الشاعر الفيلسوف سينيك لم يضف إلى ما ابتكر سوفوكل شيئاً ، ولعله أضاع منه أشياء . وإذا كان لقصته شيء من جمال فأكبر الظن أنه إنما يأتيها من روعة الفصاحة اللاتينية ومن بعض الخواطر الفلسفية العابرة .

أما كورنى فقد كان مفتوناً بقصته ، ويظاهر أن معاصريه منحوا قصته هذه غير قليل من الرضا والإعجاب ؛ ولكن كورنى فيما أعتقد قد أفسد قصة أوديب إفساداً عظيما . رأى أن يلائم بين القصة وبين ذوق البيئة التى كان يكتب لها ، وقد لاحظ أن تلك البيئة لم تكن تتصور قصة تمثيلية تخلو من الحب ، ومن الحب الذى يكون له فى المأساة نفسها أثر خطير . وليس فى قصة سوفوكل حب أو

شيء يشبه الحب ، فاضطر كورنى إلى أن يحدث حبًّا ذا خطر ، واضطر من أجل ذلك إلى أن ينشئ للايوس بنتا تكبر أوديب سنًّا ، وأن ينشئ بين هذه الفتاة وبين ثيسيوس Thésée ملك أثينا حبًّا ، وأن ينشئ بين هذه الفتاة وبين أوديب خصومة حول هذا الحب من جهة وحول العرش من جهة أخرى . فلم تكن الفتاة تعرف أن أوديب أخوها ، وهى من أجل ذلك كانت تراه غاصباً لعرش أبيها . ولم يكن أوديب يعرف أن الفتاة أخته فكان يؤثر أن يزوج ملك أثينا من إحدى ابنتيه . وكانت جوكاست حائرة بين بناتها الثلاث وبين زوجها . والغريب أن كل هذه الخصومات حول الحب والغيرة كانت تشغل الملك والملكة والحاشية والقصر كله فى نفس الوقت الذى كان الوباء يعصف فيه بالمدينة عصفاً شديداً ، ولا تشغل بالقصة نفسها إلا حين توشك

الفصول أن تنتهى ، هنالك تثار العقدة ويعلم الملك ومن حوله أن الآلهة غضاب ، وأن هناك مجرماً يجب أن ينزل به العقاب ، ثم يستبين للملك أنه هو المجرم فلا يفقد صوابه ولا يأخذه الهول ، وإنما يتحدث إلى أخته فى حبها لملك أثينا وفى زواجها من هذا الملك ، ثم يعصف الندم بنفسه آخر الأمر حين تموت جوكاست فيفقأ عينيه. وقد لاحظ كورنى كذلك أن البيئة التى كان يكتب لها كانت من الترف ورقة الشعور بحيث كان يسوءها أن يظهر أمامها أوديب دامى الوجه بعد أن فقأ عينيه ، فلم يُظهر الملك أمام النظارة وإنما قص آخرته وآخرة الملكة عليهم فى شعر قد يكون جميلا رائعاً ، ولكنه لا يغنى عن الصورة الماثلة أمام النظارة شيئاً .

وقصة كورنى بعد ذلك لا تضيف فكرة جديدة إلى القصة اليونانية . ولست أدرى أمن الحق أن تسمى أوديب ،

أم من الحق أن تسمى درسيه Dircée وهو اسم الفتاة التى اخترعها كورنى والتى تدور عليها القصة وعلى حبها أكثر مما تدور على أوديب وعلى محنته. وقد نقد ڤولتير قصة سوفوكل نقداً مفصلا مسرف التفصيل. قاسه بمقياس العصر الذى كان يعيش فيه، فأظهر القصة اليونانية منحلة متهالكة لا قوام لها من منطق ولا من دقة، ولا تكاد تظفر بحظ من إتقان. ثم عطف على قصة كورنى، فلم يعفها من النقد اللاذع الشديد. ثم أذاع قصته هو، فإذا هى شر من قصة كورنى، لم تضف إلى القصة اليونانية جديداً، ولم تظفر من الجمال اللفظى بما ظفرت به قصة كورنى العظيم. ويكفى أن نلاحظ أن ڤولتير قد وقع فى نفس التخليط الذى وقع فيه كورنى، أراد أن ينشئ حبًّا فى هذه المأساة؛ لأن البيئة الفرنسية التى كان الأدباء يكتبون لها كانت تريد الحب فى التمثيل. أراد أن

يلشى حبًا إذن ، فلم يجعل للايوس بنتاً كما فعل كورنى ، ولكنه استكشف لجوكاست عاشقاً قديماً هو فيلوكتيت Philoctète ، وقد عاد فيلوكتيت إلى ثيبا ليعيش قريباً من عشيقته ، ولكنه يعلم أن زوجها قد قتل فيستأنف حبه القديم ثورة جامحة، إلى آخر هذا العبث الذى لا يزن شيئاً بالقياس إلى جد الشاعر اليونانى العظيم . على أن من الحق أن نعتذر عن ڤولتير؛ فقد كان فى التاسعة عشرة من عمره حين أنشأ هذه القصة . والشيء المحقق أن الشاعرين الفرنسيين قد عنيا بالبيئة أكثر مما عنيا بالموضوع ، فأرضيا قوما كانوا يحبون أن يلهوا ، ويكرهون أن يشقّوا على أنفسهم بالتأمل والتفكير فضلا عن أن يشقّوا على أنفسهم بالنظر إلى المناظر التى تؤذى شعور الغانيات المترفات .

ولادع ما حاول الشعراء والكتاب بعد ڤولتير من تجديد قصة أوديب لاصل إلى هذه المحاولة الأخيرة التى

الطبعة الأولى . . . أكتوبر ١٩٤٦

العنوان الأصلى للكتاب
بالفرنسية

ANDRE GIDE

OEDIPE

*

THESEE

أقدم عليها أندريه چيد وچان كوكتو بين الحربين . وهما قد أقدما على هذه المحاولة فى وقت واحد ، لم يسبق أحدهما صاحبه ، ولم يعلم أحدهما بمحاولة صاحبه إلا بعد أن أظهر كل منهما قصته . والفرق عظيم جدًّا بين القصتين . فأما چان كوكتو فيسرف فى التجديد والابتكار إسرافاً شديداً لايدعوه إليه تعمق الفكرة التى تدور القصة حولها ، وهى فكرة الصراع بين سلطان القضاء وحرية الإنسان ، وإنما يدعوه إليه الفن نفسه ، الفن الخالص الذى يروع النظارة ويبهرهم ويحرص على أن يسحر أعينهم وآذانهم وعقولهم أكثر مما يحرص على أن يدعوهم إلى التأمل والتعمق والتفكير . فچان كوكتو ليس متهالكا على الجد ولا ممعنا فيه ، ولعله يبغض التقيد بأصول الفن المقررة ، فأحرى أن يبغض التقيد بقصة الشاعر اليونانى القديم . وهو من أجل ذلك يبتكر بطلا جديدا هو أوديب ، ويحيطه

بظروف توشك ألا تستبق من اليونانية إلا الأسماء دون الحقائق ، وهو يعقد قصته تعقيدا ويخالف فيها بين المناظر والفصول ، لا يتقيد بوحدة فى الزمان ولا فى المكان ولا فى الحركة ، وإنما يكتفى بوحدة الموضوع . فقصته تبدأ منذ قتل لايوس ، وتنتهى بعد أن يفقأ أوديب عينيه . وإذن فهى تستغرق نحو عشرين سنة . تبدأ القصة حين تعرف المدينة مصرع الملك من جهة وحين يمتحنها أبو الهول بلُغْزه من جهة أخرى . ونحن نرى فى الفصل الأول ظل الملك القتيل يظهر لبعض الجند يريد أن يرى الملكة والكاهن ليحذرهما من خطر عظيم . ونحن نرى الملكة والكاهن يصعدان إلى حيث كان يظهر ظل الملك القتيل ، فنرى ملكة شابة حلوة الدعابة خفيفة الروح ، خائفة من ظل زوجها ، خائفة من الأحداث التى يمكن أن تلم بها ، محبة مع هذا كله للحياة ولذاتها ، لا تكره أن

تداعب الكاهن الذى يداعبها أيضاً ، ولا تكره أن تلاعب الجندى الشاب الذى رأى ظل الملك القتيل ، وتظهر ميلا شديدا إليه .

ونحن نرى فى فصل آخر ما يكون من الصراع بين أوديب الفتى المغامر وبين أبى الهول . ثم ما يكون من انتصار الفتى . ونحن نرى فى فصل ثالث زفاف جوكاست إلى الملك الشاب ونشهد أول الشر ؛ فالكاهن محنق على أوديب مشفق منه ، وليس كريون أقل منه حنقا ولا إشفاقاً . ثم نرى نحن آخر الأمر ظهور الحقيقة ومصرع جوكاست ، ونرى أوديب وقد فقأ عينيه ونفى نفسه من الأرض وهمّ أن يخرج من القصر تقوده ابنته أنتيجون ، وإذا ظل أمه وزوجه جوكاست يظهر ، فيراه أوديب الضرير ولا يراه المبصرون من حوله ، ويتحدث فيسمعه أوديب ولا يسمعه الآخرون من حوله ، وإذا جوكاست

تنبئ ابنها بأن الموت قد طهرها من الزوجية الآثمة ولم يبق لها إلا الأمومة البرة ، وهى قد أقبلت لتقود ابنها إلى منفاه وتعينه على احتمال الغربة .

فالقصة كما ترى رائعة بما فيها من اختلاف المناظر وبراعة الاختراع وحسن التحدث إلى الحس والشعور . ويظهر أن هـذا كله يرضى الجمهور الضخم من النظارة البارنسيين . فأما التحدث إلى العقـل وأما مواجهة المشكلات العليا وأما الصراع بين الدين والحرية فأشياء لم يكن يحفل بها جان كوكتو ، ولم يكد يحفل بغيرها أندريه جيد ؛ فأندريه جيد متتبع لسوفوكل فى مجرى قصته لا يخرج عن الخطة التى رسمها الشاعر القـديم منذ خمسة وعشرين قرنا . ولـكن أوديب الذى ينشئه أندريه جيد رجل قد تم نضجه الفلسفى بأرق معانى هذه الـكلمة فى القرن العشرين ، يظهر فى أول القصة مستجمعا

شخصيته كلها ، مستكملا قوته كلها ، متحديا للناس متحديا للآلهة ، لا يؤمن إلا بنفسه ، يعلن إلى النظارة أنه رجل سعيد ، قد عمر أربعين سنة وملك عشرين عاماً ، وا كتسب سعادته اكتسابا لم يرثها عن أحد . ويوشك هذا الاعتداد بالنفس أن يدفعه إلى الغرور ، وهو من أجل ذلك يخادع نفسه ويزعم لها غير مخلص أن الآلهة قد أعانوه ، لا يريد بهذا الخداع إلا أن يتجنب الغرور الذى كثيرا ما ورط الناس فى الشقاء .

فالفكرة الأساسية فى قصة أندريه جيد هى اعتداد الإنسان بنفسه وثقته بحريته واعتماده على قدرته التى تمكنه من اقتحام المصاعب وتذليل العقاب . وهذا الاعتداد بالنفس يسوء الناس جميعاً ؛ فالجوقة التى تمثل الشعب ضيقة بهذا الغرور مشفقة منه على مصير المدينة ، ويدفعها إلى الإشفاق والخوف هذا الوباء الذى يصب على

المدينة بلاء عظيما . وقد أخذ الشعب الذى كان مفتونا بالملك يتطير به ويهم فى أن يكيد له بعض الكيد ليصرف إليه وحده غضب الآلهة من دون المدينة . والكاهن ساخط على الملك لأنه لا يخاص دينه للإله بل لا يؤمن بالإله . وأبناء أوديب قد اختلفت أهواؤهم : فأما الشابان فقد تأثرا بأبيهما ، فهما لا يؤمنان بشىء ولا يرجوان لشىء وقاراً ، ولا يكرهان أن يصبوا إلى أختيهما وأن يتحدثا إليهما كما يتحدثان فيما بينهما بهذه الصبوة الآثمة . أما أنتيجون وجوكاست فتتأثران بالكاهن إلى أبعد حد ، حتى إن الفتاة لتوشك أن تهب نفسها للإله . وأما كريون فناعم بالحياة فى هذا القصر لا يحب أحداً ولا يكره أحداً ، وإنما يحب نفسه ويحب الحياة ويستمتع بما يتاح له من لذاتها ، ويحافظ على التقاليد ما وسعته المحافظة . وعقدة القصة كلها هى

الاختلاف بين أوديب الذى يمتد بنفسه حتى يبلغ الغرور وحتى يجحد الآلهة ، والكاهن الذى يريد أن يبسط سلطان الدين وأن يسيطر من طريق هذا السلطان على كل شىء وعلى كل إنسان وعلى نفس الملك خاصة . وليس الوباء الذى ألمّ بالمدينة وليس البحث عن مصدر هذا الوباء وليست استشارة الآلهة لتعرف هذا المصدر وليس استكشاف المجرم الذى قتل أباه وتزوج أمه — ليس هذا كله إلا مظاهر لهذا الصراع بين حرية الإنسان واعتداده بنفسه حتى يبلغ الغرور ، وبين سلطان الإله وتفوقه على غرور الإنسان .

فاذا تبينت الحقيقة وعرف أوديب أن سعادته لم تكن إلا غروراً ، وأن انتصاره على أبى الهول لم يكن إلا سرابا ، وأن ملكه الذى أسسه ونعم به لم يكن إلا امتحانا — إذا عرف أوديب هذا كله ورأى امرأته وأمه قد قتلت نفسها

ورأى نفسه قد فقأ عينيه بيديه ، ظن الكاهن تيرسياس Tirésias أن الإله قد انتصر على غرور الإنسان ، وأن أوديب قد ثاب إلى رشده ، وأذعن لسلطان الدين . ولكن أوديب لم يخرج عن كبريائه ، ولم يستسلم للمحنة ، ولم يعترف بالهزيمة ، وإنما ثبت للخطب ، بل هو لم يفقأ عينيه إلا تحديا لنفسه وللناس وللألم ، ومحاولة لبناء مجد جديد من طراز آخر معنوى غير هذا المجد الزائل الذى كسبه حين قهر أبا الهول وأسس الملك . وهو حين ينفى نفسه من الأرض لا يفارق المدينة منهزما ولا مخذولا ، وإنما يفارقها يائساً . لم يقهر اليأس نفسه ، وإنما رفعها فوق الناس وفوق أعراض الحياة . وهو ينصرف ساخراً من الشعب الذى أحبه ثم كرهه ثم أخذ يتملقه حين عرف أن بركة الآلهة متصلة بشخصه ، وينصرف ساخراً من كريون المحافظ الذي يرى الملك كل شىء ، وينصرف ساخراً من ابنيه

اللذين لا يفكران فى الحياة إلا على أنها وسيلة إلى المتاع ؛ وينصرف ساخراً من الكاهن الذى يعظه ويريد أن يحمله على الندم ؛ فهو لايرى أنه قد فعل شيئاً يمكن أن يندم عليه .

هذه هى القصة التى وضعها أندريه جيد ، وهى كما ترى قريبة جداً من القصة اليونانية فى موضوعها وفى غايتها ، بعيدة جداً من القصة فى صورتها من ناحيــة وإن احتفظت بالجوقة وفى إتقانها للتفكير وتجنبها للتكلف الشعرى الغنائى الذى قد يروق ويعجب ، ولــكنه لايغنى عن التفكير العقلى شيئاً .

ولست أدرى أمخطئ أنا أم مصيب ، ولــكنى أعتقد أن هاتين القصتين : قصــة سوفوكل وقصة أندريه جيد هما وحدهما اللتان تشهدان بأن محنة أوديب خليقة حقــا بأن تكون موضوعاً للتفكير الذى يغذو العقل ، والفن

الذى يغـذو القلب ، وبأن تكون من اجل ذلك صالحة لتفكير الفلاسـفة وابتكار الأدباء على مر العصور واختلاف الأجيال .

وقد يكون مما تمتاز به قصة أندريه جيد من القصص الأخرى التى حاولت تجديد القصة اليونانية أنها لم تقف عند قصة أوديب ملكا ولكنها ألمت من قرب جداً بالقصة الثانية التى وضعها سوفوكل وهى قصة أوديب فى كولونا .

وكان إلمامها بهذه القصة رائعاً حقًا ، لا أكاد أعرف شيئاً يشبهه فى جمال الإيجاز ودقته وكفايته بحيث يستطيع قارئ هذه القصة أن يستوعب أمر أوديب كله فى غير مشقة ولا جهد .

فقصة أوديب ملكا تنتهى حين تموت جوكاست ويعاقب أوديب نفسه ويعلن أنه سيهاجر من وطنه . وقد رضى

كريون من هذه الهجرة ، وابتهج بها الشعب ، وسكت عنها ابنا أوديب الطامعان فى الملك اللذان اتفقا قبل أن يمتحن أبوهما على أن يكون الملك دولةً بينهما ، وأزمعت أنتيجون أن تصحب أباها فى منفاه ، وقررت إسمين أن تلحق بهما بعد قليل . ولكن الكاهن يعلن فجاءة أن الآلهة قد أوحوا إليه انهم يصلون البركة بشخص أوديب ويكتبونها للأرض التى يدفن فيها بعد موته ، وإذا كل شىء يتغير إلا رأى أوديب ، فكريون يطلب إليه البقاء ملحًا فى طلبه ، والشعب يطلب إليه البقاء متملقاً مترضياً ، ولكن أوديب يسخر من إلحاح كريون وتملق الشعب وتوسل الكاهن ، ويمضى إلى منفاه ساخراً من هؤلاء جميعاً .

وفى هذا الحوار القصير اليسير يوجز أندريه جيد خير ما فى القصة اليونانية الثانية بحيث يخرج القارىء من قصة

أندريه چيد وقد عرف من أمر أوديب كل شيء : عرف بدء القصة وخاتمتها ، وعرف مكر الآلهة وغرور أوديب ، وعرف المحنة والمقاومة ، ثم عرف عفو الآلهة وانتصار الإنسان .

٤

والظاهر أن أندريه چيد قد فكر فى قصة أوديب قبل أن يحاول إنشاءها بوقت طويل ؛ فهو معنى بأساطير اليونان يطيل التفكير فيها والحديث عنها ، ويلفته إليها بنوع خاص أنها مهما تكثر فيها الأعاجيب وخوارق العادات ومخالفة المألوف من قوانين الطبيعة تنتهى دائماً إلى شيء من المنطق يردها إلى العقل ، وإلى ما يحمل العقل على التروية والتفكير فيما يفسر حياة الإنسان أو يتصل بمصيره أو بموقفه من القضاء .

نراه يكتب فى ذلك بعيد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٩ .

ثم نراه ينشىء قصة أوديب نحو سنة ١٩٣٠ ، فإذا كانت الحرب العالمية الثانية وهاجر إلى إفريقية الشمالية نراه ينشىء قصته الثانية التى نترجمها مع قصة « أوديب » وهى قصة « ثيسيوس » . وهو ينبئنا فى إهداء هذه القصة بأنه كان يفكر فى كتابتها منذ زمن طويل . والواقع أنه يتحدث عن ثيسيوس وأسطورته فى مقاله الذى أشرت إليه آنفاً والذى كتب سنة ١٩١٩ ، فهو إذن يفكر فى هذه القصة الثانية قبل أن يكتبها بأكثر من عشرين سنة . والتفكير فى هذا البطل الأثينى لا يستقيم عند أندريه جيد كما أنه لا يستقيم عند سوفوكل دون التفكير فى أوديب . وحسبك أن تذكر أن أمر أوديب قد انتهى فى القصة الثانية

من قصتى سوفوكل بالتجاء البطل الممتحن إلى أتيكا والتماسه الأمن والجوار عند الملك الأثينى ؛ فقد كان الشاعر اليونانى إذن يقرن أحد البطلين إلى صاحبه . وكذلك صنع أندريه جيد ، فسترى فى آخر قصة ثيسيوس حديثاً بين البطلين حين التقيا يدور كله حول مصيرهما . والواقع أن هذين المصيرين يختلفان أشد الاختلاف ، ولكن كلا منهما يدعو على ذلك إلى التفكير فى الآخر . فقد أتيح الفوز للبطل الأثينى منذ نشأته الأولى ، وأتيح له على نحو متصل حتى كانت حياته كلها فوزاً لم يعرف فيها الشقاء إلا قليلا ، على حين بدأت حياة أوديب شقية مملوءة بالمحن ، ولم يكن ما أتيح له من السعادة إلا غروراً .

على أن آخرة الرجلين تختلف أشد الاختلاف : فأما أعظمهما حظاً من الشقاء وهو أوديب ، فقد مات راضياً

عن نفسه ومن الآلهة ، مطمئنًا إلى هذه السكينة التى أنزلت على قلبه . وأما أعظمهما حظاً من السعادة وهو ثيسيوس فقد أنفق آخر أيامه منفيًا طريداً ، نفته الثورة عن وطنه ، ولم يجد عند الملك الذى استجار به مثل ما وجد عنده أوديب من الثقة والأمن ، وإنما وجد عنده المكر والغدر والموت . فلاغرابة إذن فى أن يفكر أندريه چيد كما فكر سوفوكل فى الرجلين معاً . ولا غرابة إذن فى أن نجمع ترجمة القصتين فى سفر واحد ، وإن لم يفعل ذلك أندريه چيد ؛ لأنه قد أنفق أكثر من عشر سنين بين إنشائه لهاتين القصتين .

على أنى حين تحدثت إليه فى الجمع بينهما فى سفر واحد رضى عن ذلك كل الرضا . وقد عرفت منه فى باريس أنه أشار على مترجمه الأمريكى بأن يصنع نفس هذا الصنيع ؛ لأن القصتين تصدران عن تفكير واحد ومن موقف

واحد أمام مشكلات الحياة . ومع ذلك فبين القصتين اختلاف عظيم فى الصورة الفنية : إحداهما تمثيلية كتبت للمسرح ، على حين أن الثانية نوع من المذكرات يقص فيها البطل الأثينى علينا حياته التى ملأتها المغامرة فى ألوان من الدعابة الحلوة أحياناً والجد المر أحياناً أخرى .

ولا يشك قارئ القصتين فى أن أولاهما قد كتبت حين كان أندريه جيد قويًّا سعيداً موفوراً مستكملا شخصيته كأحسن ما يستكمل الكاتب شخصيته . كان فى الستين من عمره ، أو لم يكن قد جاوز الستين إلا قليلا ، كان سعيداً بين أهله وأصدقائه ، راضياً عن نفسه وراضياً حتى عن مكر الناس به وكيدهم له وانتقاض بعضهم عليه . أما القصة الثانية فقد كتبها بعد أن جاوز السبعين ، بعد أن فقد زوجه وكثيراً من أصدقائه ، وبعد أن خضع لألوان من

الأزمات النفسية ، وبعد أن ذاق وطنه الهزيمة ، وذاقها هو أشد ما يكون ذوقها مرارة ، وكتبها منفيًّا عن وطنه لا يعرف متى يعود إليه ، بل لا يعرف أيتاح له أن يعود إليه . فهو مجاهد معاند متحد للأحداث والخطوب حين يكتب قصة « أوديب » ، وهو هادئ مطمئن حزين باسم مع ذلك للأحداث والخطوب ساخر منها ، مؤمن بنفسه واثق بوطنه ذائق حلاوة الصداقة حين يكتب قصة « ثيسيوس » .

ولذلك نرى أوديب يفرض نفسه على الأيام ويتحدى الآلهة ويعاند القضاء ، ويخرج من المحنة ظافراً يريد أن ينسى الماضى وألا يفكر إلا فى المستقبل ، ونرى ثيسيوس قانعاً راضياً مطمئنا لا يفكر إلا فى الماضى يستحضر منه اليسير والخطير ، ويجد اللذة فى استحضار ما يستحضر يتحدث به إلينا أو إلى نفسه ، مستمتعاً بهذا الحديث قبل

أن نستمتع به نحن ، لا يفكر فى المستقبل ولا يريد أن يفكر فيه ؛ فهو لا ينتظر مستقبلا لأن حياته قد أشرفت على غايتها . وأنت تجد هذا الحزن المطمئن فى الأسطر الأولى من القصة حين ينبئك بأنه كان يريد أن يقص حياته ليجد فيها ابنه موعظة وعبرة وتعليما ، ولكن ابنه قد مات ، وهو يقص حياته مع ذلك ؛ لمن يقصها ؟ لنفسه أولاً ، ولمن شاء أن يقرأها من الناس بعد ذلك . فهو قد تقدمت به السن ، وسبقه أكثر أصدقائه وأحبائه إلى الموت ، فأصبح عشير نفسه ، لا يستطيع إن أراد أن يسرّى عنها إلا أن يقص عليها ما كان له فى صباه وشبابه وكهولته من الأحداث ، وما مر به من الخطوب وما تعرّض له من المغامرات ، يحيا فى وقت قصير حياته الطويلة ، ويجدد بالذكرى ما اختلف على نفسه من لذة وألم ، ومن أمن وخوف ، ومن أمل ويأس .

وهو ينتهى آخر الأمر بالموازنة بين حياته وحياة صديقه أوديب ، فيرى بعد التفكير الطويل أنه كان أسعد من صديقه حياة وأحسن حظًّا ؛ لأن أوديب قد انتهى إلى الزهد فى الحياة والنفور منها والفزع إلى هذا العالم الداخلى يجد فيه الأمن والرضا على حين لقى هو الحياة كما عرضت على الأحياء ، ولعب بالأوراق التى أتاح القضاء للناس أن يلعبوا بها . يئس أوديب من الناس واستيقن آخر الأمر أنه لن يجد عندهم خيراً ولن يقدِّم إليهم خيراً ، ووثق هو بالناس واستيقن آخر الأمر أن الحياة النافعة القيمة هى التى لا تنتهى إلى الجدب ، وإنما تنتهى وقد تركت من ورائها آثاراً يدوم انتفاع الناس بها وذكرهم لها وثناؤهم على صاحبها .

وقد امتازت هـذه القصة بما سترى فيها من هذه الدعابة الحلوة والسخرية الهادئة ؛ فالبطل الأثينى يعرف

الناس كما ينبغي أن يعرفوا : يعرف قوتهم ويعرف ضعفهم ، ويعرف أن هذه القوة كثيراً ماتقوم على الضعف نفسه .
قيل له إنه ابن الملك وتحدّث الناس بأنه ابن إلـه البحر ، فهو يعتز بهذين النسبين : يعتز بنسبه إلى أبيه ليملك أثينا ، ويعتز بنسبه إلى الآلهة ليملك قلوب الناس ويسحر عقولهم . وهو فيما بينه وبين نفسه يكاد يقطع بأنه ليس ابن هذا ولا ذاك ، وبأن أباه غير معروف ؛ فقد يحدثنا بلوتارك بأن كثيراً من هؤلاء الأبطال كانوا يولدون لغير أب معروف فينتسبون إلى الآلهة ، ولا ينكر الناس من نسبهم شيئاً لحسن بلائهم ولما يحققون من عظائم الأمور .

ويحدثنا ثيسيوس بأنه قتل رجلا كان يظن به السوء وقطع الطريق ، ثم تبين بعد ذلك أنه كان رجلا خيرا نفاعاً للناس ، فكاد يندم على قتله ؛ ولكن الشعب حين عرف

أنه هو قاتله ، لم يتردد فى أن يقرر أنه كان مجرما أثيما . وكذلك تذعن الشعوب لملوكها وتسبق إلى التماس المعاذير لهم حين يخطئون .

وما أكثر ما نرى فى هذه القصة أخلاق أندريه جيد نفسه ، فأبغض شىء إلى ثيسيوس أن يقيد نفسه بما يمنعه من العمل ومن التقدم إلى أمام ؛ فهو يحب ولكن بشرط ألا يمسكه الحب عند خليلة بعينها ، وهو يصادق ولكن بشرط ألا تقفه الصداقة عن أن يمضى لما يريد ، وهو من أجل ذلك يتخلص من أريان Ariane بعد أن نجته من اللابيرانت labyrinthe ويؤثر عليها أختها ، كما أنه لا يحفل بمشورة صديقه بيريتوس Pirithoüs ولا يقف عند رأيه ، وإنما يمضى لما أراد غير حافل بفقدان الصديق الذى أوشك أن يعوقه عما يرى فيه خيراً .

كل شيء فى هذه القصة يصور حرص الملك على أن يحقق نفسه ويعتمد عليها ، ولا يعتمد إلا عليها ، ينفع الناس ولـكن لا يعنيه أن يرضى الناس عنه أو يسخطوا ، بل هو لا يكره أن ينفعهم على رغمهم . وإذا كانت قصة أوديب تصور الشخصـية القوية المجاهدة المعاندة التى لا تؤمن بشىء كما تؤمن بالحرية ، ولا تحرص على شىء كما تحرص على الحرية ، ولا تعرف الهزيمة ولا تذعن للخطوب ، فقصة ثيسيوس تصور الشخصية القوية التى جاهدت وعاندت وانتصرت على الأحـداث والخطوب حتى إذا بلغت آخر الشوط نظرت إلى وراء بعد أن لم تكن تنظر إلا إلى أمام ، فرضيت عن نفسها وحمدت بلاءها ، وانتظرت الموت آمنة مطمئنة .

والقصتان تنتهيان إلى غاية واحدة ، ولـكنها فى الوقت نفسه مختلفة : فقد مات أوديب راضياً ومات

ثيسيوس راضياً أيضاً ، ولكن أحدهما وجد الرضا فى العالم الداخلى الفلسفى ، على حين وجد الآخر هذا الرضا فى العالم الخارجى الإنسانى . وما أعظم الفرق بين رضا مصدره اليأس من الناس ورضا مصدره الثقة بالناس !

طه حسين

آثرت فى هذا الكتاب إيراد الأسماء اليونانية كما ينطقها ويرسمها الفرنسيون . ويرى القارىء فى آخر الكتاب تبييناً لما قد يحتاج إلى تبيين من هذه الأسماء .

أوديب

الفصل الأول

« إنه ملىء العالم بالمعجزات ، ولكن
لا أشد إعجازا من الانسان . »

[سوفوكل من حديث الجوقة فى قصة أنتيجون]

أوديب

هانذا أحضر وقد استجمعت شخصيتى كاملة فى هذه اللحظة من لحظات الزمان السرمدى ، أشبه شىء بشخص يظهر على مقدمة المسرح قائلا :

أنا أوديب ، قد عمرت أربعين سنة ، وملكت عشرين عاما ، وبلغت بقوة ذراعى قمة السعادة . لقد كنت لقيطا لا يُعرف له أصل ، ولا يحمل ما يثبت شخصيته ، وأنا الآن أسعد الناس بأنى لست مديناً بشىء لإنسان . لم توهب لى السعادة ، وإنما أخذتها قسراً . وأنا من أجل ذلك عرضة للغرور . وقد أردت أن أتجنبه ، فسألت نفسى ألم يكن فى أمرى أثر للقضاء والقدر ؟ أعمد بهذا السؤال إلى أن أعصم نفسى من دُوار الكبرياء هذا الذى تزلّ له أقدام كثير من أبعد القادة صوتا وأعظمهم امتيازاً . . . هلمّ ! هلمّ ! يا أوديب ! لا تغامر بنفسك فى كلام طويل توشك ألا تحسن الخروج منه . قل فى يسر ما تريد أن تقول ، ولا تشع فى ألفاظك هذا الورم الذى تحرص على أن تتقيه فى حياتك . كل شىء يسيرٌ ، وكل شىء يأتى فى إبّانه . فكن يسيراً وكن صائبا كالسهم .

إمض إلى غايتك فى غير عوج ولا التواء ... وهذا يردّنى إلى ما كنت أقول آنفاً . نعم ! إذا ظننت أحياناً أنى صنيعة الآلهة، ومصدر ذلك رغبتى فى التواضع والاعتدال ، وفى أن أرد إليهم فضل ما كتب لى من تفوق ، فمن العسير ألا يتعرض مثلى للغرور والكبرياء . وسبيلى إلى القصد أن أزعم أن فوق قوة مقدسة أخضع لها راضياً أو كارها . ومن ذا الذى لا يُذعن مطمئناً لقوة مقدسة ترق به إلى حيث بلغت ! إن إلـهاً يقودك يا أوديب ، وليس فى الأرض اثنان يشبهانك . بذلك أحدّث نفسى فى أيام الآحاد والأعياد ، فأما فى سائر الأيام فإنى لا أجد الوقت للتفكير فيه . وما أنا وهذا كله ؟ إنى لسيىء التفكير ، ليس حسن المنطق من خصائصى ، وإنما أنا أصدر دائماً عن الحَدْس . من الناس مَن يسأل نفسه فى كل فرصة ، وفى كل موطن تزدحم فيه العربات : أيجب أن أتأخر ؟

أمن حقى أن أمضى إلى أمام ؟ أما أنا فأمضى فى حياتى كأن
إلهـا يرشدنى إلى ما أريد .

الجوقة فى مقدمة المسرح وقد انقسمت
قسمين ، أحدهما عن يمين والآخر عن شمال

الجوقة [بقسميها]

نحن الجوقة ، التى كُلِّفت فى هذا المكان أن تمثل
رأى أضخم عدد ممكن من الناس ، نعلن دهشنا وحزننا
أمام هذه الشخصية الممعنة فى إيمانها بنفسها . فهذا الشعور
الذى يظهره أوديب لا يقبل من غيره إلا إذا ألقى من
دونه حجاب .

وليس من شك فى أن من الخير للإنسان أن يترضّى
الآلهة . ولكن أقوم السبل إلى ذلك أن ينحاز إلى رجال
الدين . وإن أوديب ليحسن إذا استشار تيرسياس ،

فهو الذى يمسك إرادة الآلهة . إن أوديب ليظهر العناية بنا وهو يوشك أن يغضب الآلهة علينا ، ولعله أن يكون مصدر هذه الآلام التى تبهظنا الآن [فى صوت خافت] سنشترى رضاهم ببعض الضحايا التى لا يرتفع ثمنها وببعض الصلوات التى يحسن توجيهها ، وسنباعد ما بيننا وبين ملكنا فنحوّل إليه وحده العقاب على هذه الكبرياء التى تستوجب العقاب .

جوقة اليمين [إلى أوديب]

لا يشك أحد فى أنك سعيد وإن كنت تسرف فى إعلان هذه السعادة ، ولكننا نحن لسنا سعداء . نحن شعبك . أى أوديب نحن شعبك لسنا سعداء . وددنا لو نخفى هذا عليك ، ولكن هذه القصة لن تأخذ دارتها إلا إذا حدّثناك بنبأ مروّع . إن الطاعون ، مادام يجب

أن نسميه باسمه ، مازال ماضيا فى دفع المدينة إلى الحداد .
وقد عوفيت منه أسرتك إلى الآن ، ولـكن من الملائم
ألا يغضى الملك عما يصيب أمته من الرزايا وإن لم يصبه
منها طرف .

جوقة الشمال

على أننا لا نـكاد نشك فى أن بين سعادتك وشقائنا
صلة خفية ، بذلك تلمح لنا احاديث تيرسياس . ومن الخير
أن نتعرف جلية الأمر فيـه . سينبئنا بذلك أبولون ،
فأنت قد أرسلت الرجل الـكريم كريون صهرك إلى معبد
الإلـه ، وسيعود إلينا عما قليل بما ننتظر فى لهفة من
جواب الوحى .

أوديب

ها هو ذا مقبلا !

يدخل كريون

آوديب [إلى كريون]

وإذن ؟

كريون

أليس من الخير أن نتحدث منفردين ؟

أوديب

لماذا ؟ إنك تعلم أنى أزدرى الرياء والخواطر المستورة فستقول إذن كل شىء أمام كل الناس . إلى ذلك ادعوك ، بل بذلك آمرك . من حق الشعب أن يعلم كما أعلم أنا كل ما من شأنه أن يدفع عنه الضر . على هذا النحو وحده يستطيع أن يعيننى على دفع البلاء . ماذا قال الوحى ؟

كريون

بالضبط هو ما كنت أخاف ، وهو أن فى المملكة شيئاً قد شمله الفساد .

أوديب

قف . ليس محضر الشعب كافياً . يجب أن تُدعى إلى هذا المكان أختك چوكاست وأبناؤنا الأربعة .

كريون

إسمع لى ، إنى أحمد لك دعاء چوكاست ؛ فأنت تعلم أن شعور الأسرة شديد السلطان على نفسى ، وهى مع ذلك تستطيع أن تشير علينا فتحسن المشورة . أما الفتية فيخيل إلىّ أنهم أصغر سنًّا من أن يشاركوا فى هذا الحديث .

أوديب

ليست أنتيجون طفلة . أما إتيوكل وپولينيس فهما كما كنت فى سنهما ، ليسا غبيين وفيهما جراءة وإقدام ، فمن الخير أن ندعوهما وأن نشغلهما ببعض الهم ، أما إسمين فلن تفهم شيئاً .

تدخل چوكاست وأبناء أوديب الاربعة

أوديب [إلى چوكاست]

إن أخاك قادم من پيتو[1] . وقد أردت أن تكونوا جميعاً حولى ؛ لنسمع جواب الآله . هلمَّ يا كريون ، تحدّث الآن : ماذا قال الوحى ؟

كريون

قال إن الاله لن يحول غضبه عن ثيبا حتى يثأر للايوس .

أوديب

يثأر له من ماذا ؟

كريون

ألا تعلم أن الذى تخلفه فى سرير أختى جوكاست وعلى العرش قد مات مقتولا ؟

أوديب

أعلم ذلك ، ولكن ألم يعاقب المجرم ؟

كريون

لم تستطع الشرطة أن تأخذه . بل يجب أن نعترف بأن البحث عنه لم يتصل .

أوديب [إلى چوكاست]

لم تنبئيني

چوكاست

لقد كنت تقاطعني يا صديقي كلما حاولت أن أتحدث إليك . وكنت تصيح : كلاّ لا تحدثيني عما مضى، فلست أريد أن أعلم من أمره شيئاً . لقد بدأنا عصراً ذهبيا . كل شيء يتجدد . . .

كريون

وكانت كلمة العدل إذا نطق بها فمك تؤدي معنى العفو .

أوديب

لو كنت أعرف الخنزير الذي . . .

چوكاست

هوِّن عليك ياصديقي ! هذا تاريخ قديم . لا تعُدْ إلى ما مضى .

أوديب

كلاّ لن أهوِّن على نفسي ، بل أنا أريد أن أعلم من ذلك . أقسم بالجحيم لن أنتهي حتى أظفر بالمجرم . سألتمسه حيثما يكون وأقسم إنه لن يفوتني . كم مضى على ذلك من وقت ؟

چوكاست

كنت أيِّماً منذ ستة أشهر حين خلفت لايوس ، وقد مضى على ذلك عشرون عاما .

أوديب

عشرون عاما فى حياة سعيدة . . .

تيرسياس

. . . وهى أمام الإلـه كيوم واحد .

وقد دخل تيرسياس مع أنتيجون وإسمين دون
أن يلحظ . وهو ضرير قد اتخذ لباس الكهنة

أوديب

يا للآلهة ! إن هذا الرجل لثقيل ! يقحم نفسه دائماً
فى أمور الناس . من طلب إليك الحضور ؟

چوكاست [إلى أوديب]

يا صديقى لا ينبغى أن تتحدث على هذا النحو أمام

الصغار . فمن الخطأ أن ننقص من سلطان الرجل الذى اتخذناه لهم مربياً وأستاذاً والذى يجب أن يرافقهم دائماً .
[ملتفتة إلى تيرسياس] . كنت تقول . . .

تيرسياس

لا أريد أن أسوء الملك .

أوديب

لا يسوءنى ما يقال ، بمقدار ما يسوءنى ما تضمره النفوس ولا تقوله الألسنة . تكلم .

تيرسياس

سنتحدث منفردين يا أوديب عن سعادتك . . . عما تسميه السعادة . أما الآن فالأمر يعنى شقاء الشعب . أى

أوديب إن الشعب يألم ولا يمكن للملك أن يجهل هذا الألم . إن الإله ينشيء صلة خفية بين السعادة التى تتاح لقليل من الناس والشقاء الذى يُفرض على أكثرهم . إن اسم الإله يتردد كثيراً على لسانك يا أوديب . وما ينبغى أن ألومك فى ذلك ، وإنما ألومك فى أنك تتخذ من الإله مُقِراً لعملك لا قاضياً لك ، وفى أنك لا تضطرب أمامه خوفا .

أوديب

لم أكن قط ما يسميه الناس هيّابا .

تيرسياس

كلما عظمت شجاعة الإنسان أمام الناس اشتد رضا الإله حين يراه خائفاً أمامه مضطربا من الخوف .

أوديب

لو أنى اضطربت أمام أبى الهول لما استطعت أن أجيبه ولا أن أصير ملكا .

الجوقتان

أى أوديب ، أى أوديب ! عبثا تحاول . إنك لتعلم أن أحداً لا يستطيع أن يستأثر بالكلمة الأخيرة دون تيرسياس ، وإن كان ملكا .

الجوقة الأولى

لقد قهرت أبا الهول ، ولكن تذكر أنك أبيت فيما بعد ذلك أن تحفل بزجر الطير .

الجوقة الثانية

ولما كانت هذه تؤرِّق نومك ، فقد دفعتنا إلى الإثم
حين أذِنت لنا في صيدها على الرغم من تحريم تيرسياس
لهذا الصيد .

الجوقتان

لقد كنا نتخذ من الطير طعاما شهياً ، ولكننا لم
نلبث أن تبينا الخطيئة حين رأينا الإله الساخط يسلط
الدود على زراعتنا .

الجوقة الأولى

وإذا كنا قد أخذنا أنفسنا بالصوم في ذلك العام ،
فإنما أردنا التكفير عن خطيئتنا .

الجوقة الثانية

ولأننا لم نكن نجد ما نأكل .

الجوقتان

ولذلك فنحن على إيثارنا طاعتك ننصح لك بالإصغاء
إلى ما يقوله تيريسياس .

أوديب [إلى ابنيه]

إن الشعب يؤثر دائماً تفسير ما يعرض له من الأحداث
بالأسرار الغامضة على تفسيرها بأسبابها الطبيعية ، ليس
إلى تغيير هذا من سبيل [إلى تيرسياس] هَلُمَّ ! امض
فى حديثك .

تيريسياس

تستطيع شرطة الملك أن تبحث عن مجرم ، ولكن إلى أن تجده أرجو أن تأخذوا جميعاً أنفسكم بالندم ، فكلكم خاطئ أمام الإله ولن نستطيع أن نتصور إنساناً قد برئ من الخطايا . فليعكف كل منكم على نفسه ، وليحاسب ضميره ، وليندم على ما قدّمت يداه . وفى أثناء ذلك سنقدم من الضحايا ما يهدئ من غضب الإله الذى يمتحن المدينة بهذا البلاء . لقد جلّ عدد الموتى عن الإحصاء ، ويستطيع پولينيس الذى كان يسايرنى آنفا والذى رأى ما لم أكن أرى أن ينبئك بذلك .

پولينيس

أجل يا أبتِ ! لقد رأينا غير بعيد من القصر جماعة من

المطعونين قد دنسهم البراز والقيء وهم يتلوون من الألم ويعين بعضهم بعضا على الموت ، وكان الجو من حولهم يضطرب بما يبعثون من حشرجة وأنين ، ومن زفرات ونظرات . . .

كريون

حسبك ! حسبك ! . . .

إسمين يأخذها الاغماء

أوديب

هذه الصبية يغشى عليها الآن .

إتيوكل [إلى پولينيس]

ما كان لك أن تقص هذا كله أمام أختك .

أوديب [إلى جوكاست]

أرجو أن تخرجى هؤلاء الصبية .

يخرجون ومعهم تيرسياس

لينصرف الشعب فإنى أريد أن أخلو للتفكير .

يبقى اوديب ومعه كريون

كريون

متناقض كغيرك من الذين يرسلون أنفسهم على سجاياها . ما نفع هذا القسم الذى أقسمته آنفا ؟

أوديب

أى قسم ؟

كريون

أترى؟ لقد أنسيته! ولكن الشعب، ولكن أبناءك
لن ينسوه، وما زال تيرسياس قادراً على أن يذكّرك به.
لقد أقسمت لتثأرن للملك.

أوديب

هذا حق. لماذا لم يحاكم المجرم؟

كريون

لقد طويت القضية.

اوديب

من الذي طواها؟

كريون

أنا الذى طواها أولاً حين كنت وصياً على العرش . فقد رأيت من الخطأ أن ألفت إليها الشعب وأن ألقى فى روعه أن الملك يمكن أن يقتل كغيره من الناس .

أوديب

نعم ! ولكنه يعلم ذلك الآن .

كريون

ولم ترد جوكاست أن يجرى التحقيق لأنها رأت فى كثير من الحكمة أن أول عهدك بالملك لا ينبغى أن يشيع فيه الظلام .

أوديب

لقد حرصت جوكاست دائماً على أن تحوط سعادتى .
إنها كاملة ، جوكاست . أىّ زوج هى ! أىّ أمٍّ هى !
أما أنا فلم أعرف أمى قط وإنى لأحب جوكاست حب
البنوّة والزوجية معاً . قل لى . أكانت تحب زوجها
الأول ؟

كريون

أقل مما تحبك من غير شك .

أوديب

قل لى أيضاً . . . ألم يولد لهما الولد ؟

كريون

هذه قصة أخرى . لست أدرى أمن حتى أن أقصها عليك . . .

أوديب

لم يكن من حقك أن تشير إليها فأما وقد فعلت ، أما الآن فأريد أن أعلم .

كريون

إذن فهاك القصة : لم يكونا يريدان الولد ، لأن الوحى . . .

أوديب

الوحى أيضاً . . . ؟

كريون

. . . تنبأ بأن لايوس سيموت مقتولا بيد ابنـه . ولـكن فى ليلة من ليالى الحب الذى لاحذر فيه . . .

أوديب

لقد فهمت عنك . وماذا كان من أمر هـذا الطفل الذى أنتجه الهيام ؟

كريون

كان غلاما لم يكد يولد حتى دُفع إلى راع كُلِّف هذه المهمة الحزينة ، مهمة إلقائه على الجبل حيث التهمته الوحوش الضارية .

أوديب

ألا يزال هذا الراعى حيا ؟

كريون

إنك لتسرف على فى السؤال . أتريد نصيحتى ؟ لا تشقِ نفسك بهذا . وعش سعيداً .

أوديب

مع هذه الشوكة فى وسادتى أخشى ألا يتاح لى النوم منذ الآن . على أنك قد سمعت أن الإله يطلب عقاب القاتل .

كريون

أيها العزيز أوديب إن الوحى الذى يسيغه الشعب

لا ينبغى أن يخيفنا نحن الحاكين . ينبغى أن نتخذ منه وسيلة لتقوية السلطان ، وأن نؤوله كما نشتهى . لقد أنبأنا بأن لايوس سيموت مقتولا بيد ابنه ، فقد هلك هذا الابن ولم يمنع ذلك من قتل لايوس . ولو قد عاش لما أتيح لك أن ترق إلى عرشه . فلا تشق نفسك بموته ولا تكلّفها العناء لتعلم كيف مات . إن كان بعض الناس قد قتله فإنما فعل ذلك من أجلك . لقد هيأ لك الفرصة ، فما ينبغى لك أن تعاقبه ، وإنما يجب عليك أن تحسن إليه .

أوديب

ولكن ما عسى أن يقول تيرسياس .

كريون

أتخافه ؟

أوديب

لا أكاد أخافه ، ولكن الشعب يسمع له ، وربما أثار صوته فى نفسى بعض الاضطراب . نعم ! جرس صوته كأنه يخرج من الجحيم . ها هو ذا مقبلا من جديد . إنه ليسعى دون أن يسمع خطوه . ماذا تريد ياتيرسياس ؟

دخل تيرسياس

تيرسياس

أى أوديب إن الملكة تريد أن تتحدث إليك . إنها تنتظرك فى القصر .

أوديب يبتعد . تيرسياس إلى كريون

إنما أردت أن أخلو إليك ، لقد سمعت كل ما قلتما .

كريون

أكنت تتسمع ؟

تيرسياس

لست فى حاجة إلى أن أتسمع لأسمع . إنى أعرف ما يجول فى النفس قبل أن أسمع صوت المتكلم . أى كريون ليس من الخير أن تطمئن أوديب .

كريون

ماذا تريد أن تقول ؟

تيرسياس

أريد أن أقول إنه يسرف فى الاطمئنان ، وإن نفسه

كالإناء المطبق لا سبيل إلى أن يبلغها الخوف . وإن سلطانى كله إنما يأتى من خوف الإله . إن هذه السعادة المطمئنة آثمة . إن عليك أن تحدث فيها صدعا .

كريون

لماذا ؟

تيرسياس

من هذا الصدع يصل الإله إلى قلبه . إن پولينيس وإتيوكل يفلتان منى . إن شعورى بذلك يزداد من يوم إلى يوم . ستنبئك بذلك چوكاست . إنهما يتأثران أباهما ويريان ان من الممكن أن يتحررا من هذا السلطان الذى ينبغى أن يذعن له كل إنسان . إنى لا أتحدث إليك عن نفسى ، وإنما أتحدث إليك عن الإله الذى أمثله وعن

جوكاست ، وعن أنتيجون هذه الفتاة التقية ، وعن الشعب آخر الأمر . عن هذا الشعب المروّع الذى يرى أن ما يلمّ به من الكوارث إنما هو عقاب له على مايظهر ملكه من الإلحاد . ثم كيف تستطيع أنتيجون أن تكبر ابا ، وكيف تستطيع جوكاست أن تحب زوجا يتحول قلبه عن الإله الذى تؤثرانه جميعاً بالإجلال ! وأنت نفسك يا كريون يجب أن تفهم أن مما ينفع الناس جميعاً أن يذعن الملك لسلطان قوة قاهرة يستطيعون أن يفزعوا إليها حتى منه هو .

تدخل جوكاست

جوكاست

إن أوديب شديد الحزن لما قصصت عليه من نبأ . إن أنتيجون تريد أن تخلص للدين .

كريون

تريد أن تكون كاهنة ؟

تيرسياس

ليس فى ذلك ما يدهش . إن هذه الفتاة العزيزة تريد أن تقوّم بذلك ما فى فجور أبيها من عوج .

چوكاست

لقد أفضت إلىّ بهذه النية التى يجب أن تظل سرّا ، والتى لم يظهر عليها أخواها بعد .

كريون

آه ! يا للفتاة البائسة !

تيرسياس

بائسة لماذا ؟ ستجد عند الإلٰه سعادة أوثق من سعادة أوديب : نعيما مقدساً قوامه الخضوع لا الكبرياء .

كريون

أقدر كذلك أن شقاء الشعب قد أثر فى نفسها .

چوكاست

إنها تلح علىَّ فى أن أدعها تعنى بالمرضى ، وقد أبيت عليها ذلك ؛ لأنه ليس من شئون الأميرات . هنالك قالت لى : فلأصلِّ من أجلهم ولأضرع إلى الإلٰه فى أمرهم ، وربما ضرعت إليه فى أمرٍ . ثم قطع البكاء صوتها فلم تُتمّ .

تيرسياس

فى أمر شخص آخر أشد منهم مرضا .

كريون

أكانت تفكر فى أبيها ؟

تيرسياس

من غير شك . كيف تلقى اوديب هذا النبأ ؟

چوكاست

مغضباً محزوناً اول الأمر ، ثم صائحاً لأنه يعرف فى
هذا صنع تيرسياس .

تيرسياس

لست إلا أداة الإله، وما دام الإله يتخذني اداة لإنفاذ إمره فلن يقف عملى عند هذا الحد .

چوكاست

ما أعظم حظ هذا الزوج الحبيب إلىّ من الثبات والفضيلة والشجاعة ! إن الواجب يفرض علينا يا تيرسياس أن نرده إلى طاعة الإله .

تيرسياس

يجب على كريون أن يعينني . يجب عليه أن يزعزع ثقة الملك بنفسه فيُمِدّه بذلك لحسن الاستماع لي .

كريون

سأحاول ، ولكني لست واثقاً بالنجح فإن أوديب
لا يلقى السمع إلى من يثقل عليه .

تيرسياس

سيهديك الإله كما يهديني إلى الوسيلة التي تمسّ
بها قلبه .

كريون

لم يُعنَ الإله كثيراً بهدايتي قط .

تيرسياس

إنه لا يحسن العناية إلا بهداية العميان .

جوكاست:

إني أعتمد عليك ياتيرسياس ، فمن طريقك يأتينا الحلم بإرادة الإلـٰه القدير .

الفصل الثانى

« أى أوديب أيها الذى ولد فى غير
احتياط وكان السكر له اباً . »

[أوريبيد : الفنيقيات .]

يتقـدم أوديب وكريون وهما
يمضيان فى حديث كانا قد بدآه

كريون

. . . لو لم نكن متباينين إلى هذا الحد لما وجد أحد
منا هذه المتعة حين يفهم عن صاحبه : وإنى أيها الصهر
العزيز لأحب حديثك ؛ لأنك تفتح لى آفاقاً لم أكن

لأهتدى إليها وحدى . فلك الابتكار والتجديد . أما أنا فيقيدنى الماضى ، وأنا من أجل ذلك أحترم التقاليد والعادات والقوانين المقررة . ولكن ألا ترى أن من الخير للدولة أن يمثل هذا كله ، وأنى أحقق التوازن المفيد بإزاء عقلك المجدد ، فأحول بينك وبين الاندفاع وأهدئ من مغامراتك الجريئة التى توشك أن تحطم نظام الجماعة إذا لم تؤخذ بشىء من القصد يأتيها من هذا السكون ومن هذا التشبث بالقديم . . .

أوديب [فى شىء من الذهول]

هذا ممكن .

كريون

إن شعور الأسرة شديد السلطان على نفسى ، وأنت

من هذه الأسرة ، وأمر أبنائك يعنينى كأمر أبنائى فأذَنْ لى فى أن أجد شيئاً من القلق على صحة إسمين ، فهى عصبية ، وقد لاحظت ما أصابها أمس من الإغماء حين سمعت حديث أخيها . . .

أوديب

إن هذا الإغماء لم يطل .

كريون

ومع ذلك فيجب أن نُعنىَ بها فنحملها على شيء من الرياضة . . . وكذلك جوكاست يخيَّل إلىّ أنها لا تستمتع بالصحة الكاملة منذ أيام ؛ فهى قلقة لما يصيب الشعب من شقاء ، فمن الحق عليك أن تحاول تسليتها .

أوديب

حَسَنٌ ، حَسَنٌ !

كريون

وسأحدثك عن ابنيك حين يتاح لنا شيء من فراغ . فتيرسياس أستاذ كيِّس ، ولكنهما لا يظهران حسن الاستماع له . قد ورثا عنك شيئاً من العناد لا أحققه ، فهما ثائران . هل قرأ عليك إتيوكل خواطره التى صوّر فيها بلاء العصر ؟

أوديب

صوّر فيها الطاعون ؟

كريون

كلا . . . بلاء العصر مع عنوان آخر هو قلقنا . وهو بالطبع يقصد إلى قلق عقليّ ممتاز . إن هذا الفتى لغريب حقاً . وليس پولينيس اقل منه جمالا وقوة وذكاء . إنهما يشبهانك من غير شك حين كنت فى سنهما . ولعلك ترى نفسك فيهما .

أوديب

أحيانا .

كريون

أنتم من طائفة القلقين ، ولكنهما على الأقل يريان ماضربت لهما من مثل . أما أنت فقد كنت ترى نفسك

غريباً عند پوليب . . . أليس هـذا هو الذى حملك على مغادرة قصره ؟ ألم تكن تجد الرضا عنده ؟

أوديب

كنت أجد عنده كل ما أحب ، ولـكنى أكره أن أدلل . وكنت أعتقد فى ذلك الوقت أنى ابن پوليب . ثم أقبل إلى القصر ذات يوم كاهن كان يتحدث إلى الناس بأمر مستقبلهم ، وكان كل واحد يريد أن يسأله عما يضمر له الغيب . فلما جاءت نوبتى امتُقع لونه وأبى أن ينبئنى بأمرى أمام الناس ، ثم انفرد بى وأنبأنى بأنه قد كتب علىّ أن أقتل أبى . ضحكت أول الأمر لهذه النبوءة ، ولـكنى رأيته يلحّ ويؤكد ، فلم أر بأساً بشىء من الاحتياط ، وكان أول ذلك أن أصارح پوليب بالأمر ، وأن أنبئه بأنى فراراً من هـذه النبوءة السيئة سأفارقه إلى آخر

الدهر مهما يكلفني ذلك من مشقة ، فقد كنت أحبه .
هنالك أنبأني ليرد الطمأنينة إلى قلبي بأني لست ابنه ،
وإنما تبناني ، فما ينبغي إذن أن أخاف أن تتحقق هذه
النبوءة فيما يتصل به . ولم يستطع أن يبيّن لي عن أبي
شيئاً ، وإنما حدثني بأن راعياً من رُعاته وجدني في
الجبل وقد علقت كالثمرة من إحدى رجليّ إلى غصن
دانٍ لبعض الشجيرات (وهذا هو الذي جعلني أعرج
قليلا) وجدني عارياً معرضاً للريح والمطر كما يُطرَّح
الطفل الذي يُنتجه الحب الآثم ، والذي يراد التخلص
منه لأنه جاء على غير انتظار ليفسد على المحبين
أمرهما . . .

كريون

طفل لِغيّة . لا بد أن يكون ذلك قد أذاك .

أوديب

كلا ! لم يؤذنى . ولعل مما يسرنى أن أعرف أنى لم اولد لرشدة ؛ فقد كنت أتكلف كثيراً من الجهد لأقلد بوليب حين كنت أعتقد أنى ابنه . وكنت أقول لنفسى أى شىء فىّ لم أرثه عن آبائى . وكنت أسمع لدروس الماضى ، وأنتظر من أمس وحده إقرار ما عملت وإملاء ما ينبغى أن أعمل . ثم تنقطع الأسباب فجاءة ، وإذا أنا قد نجمت من المجهول ، فليس لى ماضٍ وليس لى نموذج أحتذيه ، وليس لى شىء أعتمد عليه ، وإنما يجب أن أبتكر كل شىء : أن أبتكر الوطن ، وأن أبتكر الأجداد وأن أخترع كل شىء وأستكشف كل شىء . ليس هناك شخص يمكن أن أشبهه إلا أن أكون أنا هذا الشخص . وما الذى يعنينى إذن أن أكون من أبناء اليونان أو من

أبناء اللورين ؟ كيف تستطيع يا كريون وأنت المثقل بقيود الماضى الملائم للتقاليد الموروثة فى كل شىء ، أن تقدّر ما فى هــذه الحاجة إلى ابتكار كل شىء من روعة وجمال . إن جهل الأبوين دعّاء إلى مضاء العزم .

كريون

ولـكن فيم تركت پوليب بعد أن ردّك إلى الاطمئنان ؟ فقد كنت متبناه ولم يكن له وارث ، فـكنت خليقاً أن ترقى بعده إلى العرش .

أوديب

لست أكره شيئاً كما أكره الاستئثار بما ليس لى فيه حق ، ولا أريد أن أنتفع بشىء إلا إذا اكتسبته بالعزم اكتساباً ، وكنت أجد فى نفسي فضائل كأنها كانت نائمة ،

ولم أكن أطيق لها هذا الخمود . وكنت أشعر أنى بهذه الحياة التى كنت أحياها فى قصر پوليب راضياً ناعم البال إنما كنت أضيع ما كتب لى من حظ .

كريون

من الطبيعى أن أرى غير ما ترى ؛ فلو قد كنت مجهول النسب لكان من الممكن أن أتكلَّف من الخصال وأطلب من المزايا مثلك ما لم يقدّر لى من طريق الوراثة . ولكنى أنا ابن ملك وأخو ملك لا أستطيع إلا أن أكون محافظاً . لم أكن ملكا ولكنى كنت احب أن أستمتع بنعمة الملك فى قصر لايوس ، كما أحب أن أنعم فى قصرك بكل مزايا الملك دون أن أحمل ثقله أو أتكلَّف همومه .

أوديب

انعَمْ في سلام ! انعَمْ في سلام يا كريون . لعل من الخير أن يكون أمثالي أشخاصاً نادرين . ولكني أرى الفتية يقبلون ، فلنستمع لهم دون أن يرونا .

يتنحى أوديب وكريون
وتدخل أنتيجون وبولينيس

بولينيس

لا سبيل إلى التفكير الحر إلا إذا أزلنا هذه الأثناء التي تفرضها العبادة على العقل .

أنتيجون

إن الاستسلام للشهوات تفرض عليه أثناء أشدّ نكراً وتعطفه إلى الشر . نعم ! لقد اتخذ عقلي هذا الثني

الذى يضطره إلى ألا يفكر إلا تفكيرا مستقيما . ومن المحقق أن كل اتجاه لشخصى إنما يدفعنى إلى . . .

بولينيس

أرتمّى .

أنتيجون

. . . يدفعنى إلى الإله !

بولينيس

لماذا لم تتمى حديثك أول الأمر ؟

أنتيجون

لأنى أعلم أنك لا تؤمن بالإله .

پولينيس

الإله إنما هو فى حقيقة الأمر شىء تضعينه عند آخر تفكيرك . أتؤمنين به حقاً ؟

أنتيجون

بكل قلبى وبكل عقلى . ولولا أنى أتحدث إليك لقلت بكل نفسى ، ولكنك لا تؤمن بالنفس أيضاً .

پولينيس

لعلك تنتهين إلى أن تحمليني على الإيمان بنفسك . . . ولكن هذا الإله الذى تذكرينه أيوجد خارج عقلك ؟

أنتيجون

نعم ! مادام يجذبنى إليه .

پولينيس

إنما هو انعكاس بسيط لما فى نفسك من الفضائل !

أنتيجون

بل أنا التى أعكس بعض ما فيه من خير ، فكل فضيلة إنما تصدر عنه هو .

پولينيس

أى إنتيجون : اسمعى لى . . . ولا يأخذك الخجل من سؤالى .

أنتيجون

إنى أخجل مقدما، ولكن سل مع ذلك .

پولينيس

أمن المحرّم أن يتزوج المرء أخته ؟

أنتيجون

نعم لاشك فى ذلك . إنه محرّم أمام الناس وأمام
الإلـه . لِمَ تسألنى هذا السؤال ؟

پولينيس

لأنى لو استطعت أن أتخذك لى زوجا لأسلمتك قيادى
حتى تبلغينى إلـهك هذا .

أنتيجون

كيف تقترف الشر وترجو أن تصل به إلى الخير ؟

بولينيس

الخير والشر . . . لا يردد فمك إلا هاتين الكلمتين

أنتيجون

لا تنفتح شفتاى عن كلمة إلا إذا كان مصدرها قلبي

كريون وأوديب قد استخفيا أثناء هذا المنظر
وسيظلان مستخفيين أثناء المناظر التالية

كريون [إلى أوديب]

كلا إنك لتعلم أنى لا أستطيع أن أقبل الزواج
بين المحارم .

آوديب

صه !

يتنحى بولينيس وانتيجون
ويدخل إتيوكل وإسمين

إسمين

ما أندر لقاءك منفردا ! إنك دائماً فى صحبة أخيك . كيف تستطيع أن توافقه دائماً ؟

إتيوكل

أليس طبيعياً أن يفهم الأخ أخاه أكثر مما يفهمه الأجنبي ؟

إسمين

إن بين أنتيجون وبيني اختلافا عظيما في الذوق ، حتى إننا لنختصم في غير انقطاع ، فهي تلومني في كل ما أحب وتزعم لي أنه محظور ، حتى انتهى بي الأمر إلى أني لا أجرؤ أمامها على الضحك أو اللعب . وأنا أعلم أنها أكبر مني سنا ، ولكني أكاد أعتقد أنها لم تكن صبية قط .

إتيوكل

پولينيس وأنا توءمان قد وُلدنا معا ونشأنا معا ، فكل شيء بيننا مشترك ، فأنا لا أذوق لذة ولا أجيل خاطراً حتى يجد على الفور مثل ما أجد ، فيزيده ذلك قوة وأيدا .

إسمين

لست واثقة بأن مما يسرني أن أجد لي ضريباً ، بل لست واثقة بأني لن أكرهه إن وجد ؛ فهناك أشياء لا تحسن فيها الشركة .

إتيوكل

لم نواجه إلى الآن شيئاً من هذه الأشياء .

إسمين

لو أن أحدكما أحب . . .

إتيوكل

لعلنا أن نحب توءمين .

إتيين

فإذا اتصل الأمر بالملك ؟

إتيوكل

لقد اتفقنا على أن نتناوب العرش .

إتيين

فإن لم تجدا توءمين .

يضحكان

إتيوكل

سأدعك لأشاوره فى ذلك . .

يخرج إتيوكل وتدخل أنتيجون

أنتيجون

كيف تضحكين والشعب فى حداد ؟

إسمين

إنك أنت لا تضحكين حتى حين يكون كل شىء من حولك سعيداً .

أنتيجون

واحسرتاه ! إن فى كل مكان من هذه الأرض شقاء لا يقاس إليه ما قد يوجد من فرح .

إسمين

إنما الفرح فى أعماق نفسى ، وإنى لأسمع فى قلبي غناء .

إن البكاء على الأشقياء لا يعفيهم من الشقاء ، ولكنك أنت لا تميلين إلا إلى الذين يألمون . ولعل ابتهاج الناس من حولك أن يسوءك

أنتيجون

إن سعادة بعض الناس تقلقنى يا إسمين .

إسمين

بعض الناس ؟

أنتيجون

سعادة أبى . وكلما ازداد حبى له اشتد خوفى من هذه السعادة التى يزعمها لنفسه . إنه يهمل الإله . وليس للإنسان معتمَد غير الإله .

إسمين

ان فرحي شيء مجنح .

تخرجان

كريون [إلى أوديب]

أترى إلى هؤلاء الفتية كيف يحسنون الحديث !
« ان فرحي شيء مجنح » . . . جملة ينبغي أن تحفظ .
أما أنتيجون فظاهر حديثها لا يدل على شيء ، ولكن
أتعلم أنه فى حقيقة الأمر شديد العمق ؟ هو بالضبط
ما كنت أريد أن اشعرك به ، ولكنى لم أكن أعرف
كيف أقول .

أوديب

ما ذا إذن ؟

كريون

هو أنى لا أرى سعادتك من المتانة بحيث تظن .
ولكن لنستمع لابنيك .

يدخل إتيوكل وبولينيس

إتيوكل

وفى الحق ما الذى نلتمس فى الكتب ؟ إنما نلتمس
فيها الإذن بما نريد أن نعمل ، بل إن الذين يزعمون أنهم
يحبون النظام ويحترمون الأشياء المقررة ، هؤلاء الذين
يسميهم تيرسياس أصحاب التفكير القويم ، إنما يلتمسون

فى الكتب الإذن فى أن يضايقوا ويظلموا ويخيفوا جيرانهم . إنما يلتمسون أصولا ونظريات تريح ضمائرهم وتضع الحق إلى جانبهم .

پولينيس

أما نحن أصحاب التفكير المعوج فإنما نلتمس فى الكتب الإذن بأن نأتى من الأمر ما تنكره التقاليد ويأباه حسن الذوق وتحظره القوانين .

إتيوكل

وبعبارة أخرى الموافقة على مخالفة المألوف .

پولينيس

نعم ، شىء يشبه هذا .

إتيوكل

فأنا الآن مثلا أبحث فى الكتب عن جمل تبيح لى أن أتخذ إسمين لى خليلة .

كريون [فى صوت خافت إلى أوديب]

وقح .

پولينيس

أختك ؟

إتيوكل

أختنا . . . ماذا تنكر من هذا ؟

پولينيس

إن وجدت هذه الجملة فأظهرني عليها .

كريون

وقحان .

اوديب [إلى كريون]

انصرف .

يخرج كريون

إتيوكل

إذا وجدت ماذا ؟

پولينيس

هذا الإذن . على أن هناك إذناً أقل شمولا وهو أن تستغنى عن الإذن .

إتيوكل

أما هذا الإذن فلم أنتظر أن أظفر به فى الكتب ! ...

پولينياس

لا نتفع به ؟

إتيوكل

طبعاً ! وإذا كنت الآن ألتمس الإذن فإنما ألتمسه لها هى . . .

پولينيس

لإسمين ؟

إتيوكل

نعم ، لإسمين ، أما أنت فلست فى حاجة إلى إذن .

پولينيس

وإذا منحتك لطمة على هذا الوجه الوقح أظنك لا تستطيع أن تزدرى هذه اللطمة .

إتيوكل

حاول ، جرب ، أنت غيران ! ألم نشترك إلى الآن فى كل شىء ! وإذن فقد أخطأت حين أفضيت إليك بهذا

الحديث . ومع ذلك أيها الأحمق فإنى لم أقل هذا إلا لأغيظك .

پولينيس

أقسم لى على أن لاريبة بينك وبين إسمين .

إتيوكل

إلى الآن لا ريبة . إنى أكظم .

پولينيس

ما أراك تكظم كما أكظم .

إتيوكل

لو لم أحدثك لما فكرت فى هذا .

پولينيس

أى إنى لم أكن أعلم أنى أفكر فيه ، فهنالك أشياء نفكر فيها دون أن نشعر .

إتيوكر

هذه مادة أحلامنا .

پولينيس

ألم تسأل نفسك قط إلى أى حد يمكن أن يذهب الفكر ؟ يخيل إلىّ أنه أشبه شىء بالتنين الذى لا نكاد نعرف منه إلا جسمه وذنبه ، ماينسحب منه فى الماضى : وحش غريب غامض أحس أن رأسه المنكر القبيح يساير ضميرى وشعورى وحِسّى ، يتحسس كل شىء ويشم

كل شيء ويرسل في كل مكان رغبة شديدة في الاستطلاع المغري ، أما سائره فيتبعه كما يستطيع .

إتيوكل

هذا التنين هو الذي أسميه بلاء العصر ، أجد في نفسي أسئلته التي لا تنقضي . إنه يلتهمني بأسئلته .

پولينيس

إني أفكر في التنين الذي قهره كدموس . يقال إننا نشأنا من أسنانه .

إتيوكل

أتصدق ذلك يا پولينيس ؟ يقال أيضاً إن ابنة كدموس الهالكة حملت في أحشائها الإله باكوس . في هذا العصر

الذى نعيش فيه والذى تقدمت فيه الحضارة ، ومنذ قتل أبونا آخر ذرية أبى الهول لا تضطرب الآلهة والكائنات الغريبة فى الهواء ولا فى الريف ، وإنما تضطرب فى أنفسنا .

پولينيس

كدموس[٢] ، ليكوس[٣] ، أمفيون[٤] الذى أهدى إلينا الكتابة نقيدبها خواطرنا . . . إن الإنسانية لتظهر لى متقدمة السن ، وإنى لأرى هذا كله بعيد العهد بنا ! وإنى لأفكر فى الوقت الذى لم يكن الإنسان فيه قد اهتدى إلى الكلام .

إتيوكل

إن تيرسياس يعلمنا أن الكلام هبة من الآلهة للناس .

بولينيس

إن إيمانى بالآلهة لأقل من إيمانى بالأبطال .

يتقدم أوديب نحو ابنيه

أوديب

لقد أحسنتما القول ! إنى لأعرف فيكما ابنىّ . إنى لأسمعكما (لقد كنت أتسمع عليكما) فآسف لأنى لم أتحدث إليكما كثيراً . ولكنى أحب أن أقول لكما قبل كل شىء . . . يا ابنىّ احترما أختيكما . إن ما يمسنا من قريب ليس بالغنيمة النافعة . إن من أراد أن يعظم خليق أن ينظر إلى بعيد . ثم لا تكثرا النظر إلى وراء . قدِّرا أن الإنسانية ما زالت بعيدة جداً عن غايتها أبعد مما نظن

وبينها وبين هذه الغاية آماد اطول مما بينها وبين عهدها الأول الذى لا نكاد نلحظه .

إتيوكل

الغاية . . . ما عسى أن تكون الغاية ؟

أوديب

هى أمامنا مهما تكن . يخيّل إلىّ أنى أرى الأرض بعد وقت طويل جداً وقد سكنها أناس أحرار ينظرون إلى حضارتنا كما ننظر نحن إلى الحضارة القديمة فى أول عهدها برقيّها البطىء . وإذا كنت قد قهرت أبا الهول فما ينبغى أن تستريحا . هذا التنين الذى كنت تتحدث عنه يا إتيوكل يشبه ذلك الوحش الذى كان ينتظرنى على أبواب ثيبا حيث كان يجب أن أدخل ظافراً . إن تيرسياس ليثقل علينا

بتصوفه وأخلاقه . لقد تعلمت هذا كله عند پوليب . إن تيرسياس لم يخترع شيئاً ، وهو لا يستطيع أن يسيغ الذين يبحثون ويخترعون . إنه على ما يزعم لنفسه من الاتصال بالآلهة ومن علم الغيب من طريق الوحى أو من زجر الطير ، لم يكن هو الذى استطاع أن يحل اللغز ! لقد فهمت ، فهمت وحدى أن كلمة السر التى ينجو بها الإنسان من أبى الهول هى : الإنسان . لم يكن بد من بعض الشجاعة ليُنْطَقَ بهذا اللفظ ، ولكنى كنت قد أعددته قبل أن أسمع اللغز . وقوتى إنما جاءت من أنى لم أكن أقبل جوابا غير هذا مهما يكن السؤال الذى يلقى .

فقد ينبغى أن تفهما يا ابنىّ أن كل واحد منا يلقى أول الشباب وحشا قائما يريد أن يأخذ عليه الطريق . وهذا الوحش يا ابنىّ يعرض على كل واحد منا سؤالا خاصاً ، فاعلما أن هذه الأسئلة مهما تختلف فإن جوابها

واحد لا يتغير . نعم ! ليس هناك إلا جواب واحد لهذه الأسئلة كلها ، وهذا الجواب هو الإنسان ، وهذا الإنسان الفرد بالقياس إلى كل واحد منا هو شخصيته .

هنا يدخل تيرسياس

تيرسياس

أى أوديب : هذه هى الكلمة الأخيرة لحكمتك ؟ أإلى هذا ينتهى علمك ؟

أوديب

بل من هنا يبدأ علمى ، وليست هذه الكلمة إلا الكلمة الأولى .

تيرسياس

والكلمات التالية ما هى ؟

أوديب

سيبحث عنها ابناى .

تيرسياس

لن يجداها ، كما أنك لم تجدها .

أوديب [لنفسه]

إنه لأشد محالا من أبى الهول .

إلى ابنيه

دعانا .

يخرج إتيوكل وبولينيس

تيرسياس

نعم ! إنك تطلب إلى ابنيـك أن ينصرفا حين لا تجد ما تقول لهما ، وحين يضطر علمك إلى العجز . لا تستطيع أن تعلمهما إلا الـكبرياء . كل علم يأتى من الإنسان لا من الإلـه ، فهو باطل .

أوديب

لقد أعتقدت وقتاً طويلا أن إلـهاً كان يهدينى الطريق .

تيرسياس

إلـهاً لم يكن شيئاً آخر غيرك ، أنت الذى ألـهَ نفسه .

أوديب

إلهاً أفهمتنى أنت أنى أستطيع أن أستغنى عنه .

تيرسياس

عن هذا الإلـه الدعى تستطيع أن تستغنى من غير شك لا عن الإله الحق ، هذا الذى تأبى أن تعرفه ، ولكنه يراقب خطاك ويتتبع أشد خواطرك خفـاء ، الإلـه الذى يعرفك خيراً مما تعرف أنت نفسك .

أوديب

من أين لك أنى لا أعرف نفسى ؟

تيرسياس

من أنك ترى نفسك سعيداً .

أوديب

ولم لا أرى نفسي سعيداً حين أكونه ؟

تيرسياس

إن المريض الذي يرى نفسه صحيحاً ليس شديد الشهوة إلى الشفاء .

أوديب

أتريد أن تقنعني بأنني مريض ؟

تيرسياس

مرضاً شديداً ، لأنه يزيد خطره أنك لا تعلم . أى أوديب : إنك تزعم الإفلات من الإلـٰه وتجهل نفسك ، وأريد أن أعلمك كيف ترى نفسك .

أوديب

يخيّـل إلى مَنْ سمعك أن الأعمى منا هو أنا .

تيرسياس

أى أوديب : إن كانت عينا وجهى مقفلتين ، فإنما ذلك لتزداد عينا نفسى إبصارا .

أوديب

وبعيني نفسك هاتين ما ذا ترى ؟

تيرسياس

أرى بؤسك . ولكن أجبني منذ كم من الوقت
تركت عبادة الإله ؟

أوديب

منذ تركت السعي إلى معابده .

تيرسياس

طبعاً إذا لم نؤد فرائض العبادة خبت في نفوسنا

جدوة الإيمان . ولـكن لماذا لم تقرب المعابد حين كانت في نفسك بقية من إيمان ؟

أوديب

لأن يَدَىَّ لم تـكونا نقيتين .

تيرسياس

أى جريمة دنستهما ؟

أوديب

دنستهما جريمة قتل اقترفتها على طريق الإلـٰه الذى كنت أريد أن أستشيره ، وأبى الهول الذى قهرته .

تيرسياس

من ذا الذى قتلت ؟

أوديب

رجل مجهول كان يعترض طريقى بعربته .

تيرسياس

الطريق التى كانت تقودك إلى الإله . فإن الطريق التى لقيت فيها أبا الهول طريق أخرى ، ولكنك كنت تعلم أن الإله لا يرجع جوابا على من دنس يديه .

أوديب

هذا حق ، ومن أجل ذلك عدلت عن استشارة الاله وأخذت الطريق التى قهرت فيها أبا الهول .

تيرسياس

ماذا كنت تريد أن تطلب إلى الإله ؟

أوديب

أن ينبئنى ابن من أنا ؟ ثم أزمعت لجاءة أن أجهل هذا النسب .

تيرسياس

بعد اقتراف الجريمة !

أوديب

تعلمت لجاءة كيف أتخذ من هذا الجهل قوة .

تيرسياس

قد كنت أظن أنك مُطلعة شديد الرغبة دائماً فى أن تعلم كل شىء . . . ولكن قبل هذا التهاون المتعمد . . . فسِّر لى يا أوديب . . . لماذا كنت شديد الحرص على أن تعلم من الإله ما كنت تريد أن تسأل عنه ؟

أوديب

لأن وحياً تنبأ بأنى يجب . . . أي تيرسياس : إنك تثقل علىّ ، ولن أجيبك بعد الآن .

تيرسياس

لقد تنبأ الوحى كذلك للايوس بأنه سيموت مقتولا بيد ابنه . أى أوديب . أى أوديب أيها اللقيط ! أيها الملك الآثم ! إن جهلك لماضيك هو الذى يمنحك هذه الثقة . إن سعادتك عمياء . افتح عينيك على شقائك . لقد استرد الإله منك حقك فى أن تكون سعيداً .

يخرج تيرسياس

أوديب

اغرب . اغرب ! كأن السعادة كانت هى الشيء الذى كنت أبتغيه ، إنما هربت منها حين تركت پوليب قوى الساقين مطلق اليدين . من ذا الذى يستطيع أن يصور جمال الفجر وهو يلقى أشعته على البرناس (٥) حين كنت

أسعى فى الندى نحو الإلـه ألتمس جوابه ، كنت لا أملك شيئاً إلا قوتى ، ولـكنى كنت غنياً بما كان فى شخصيتى من استعداد ، وكنت أجهل نفسى . نعم لقد كان مصيرى معلقاً بجواب الإلـه ، وكنت أذعن فرحا لهذا المصير . . .
ولـكن هنا شـيئاً لا أصل إلى فهمه . ومن الحق أنى لم أفكر فيه كثيراً إلى الآن . يجب أن يقف الإنسان ليفكر ، وكنت فى ذلك الوقت مدفوعا إلى العـمل . . .
أمن الحق أنى تحولت عن طريق الإلـه لأن يدىّ لم تكونا نقيتين ؟ لم أكن أحفل بذلك حينئذ . ويخيل إلىّ الآن أن جريمتى هى التى وجهتنى نحو أبى الهول . ماذا كنت أريد أن أطلب من الإلـه ؟ كنت أطلب جواباً . وقد كنت أشعر بأنى كنت أنا نفسى جواباً لسؤال لم أكن أتبينه ، ثم عرفت أنه سؤال أبى الهول . لقد قهرته أنا الذكى . ولـكن منذ ذلك الوقت ألم تزدد الأشياء كلها

غموضاً من يوم إلى يوم بالقياس إلىّ ؟ منــذ ذلك الوقت
منذ ذلك الوقت . . . ماذا صنعت يا أوديب ؟ لقد نعمت
بالمكافأة ونمت عشرين سنة ، ولكنى الآن أخيراً أحس
الوحش يتمطى فى دخيلة نفسى . إن مصيراً عظيما ينتظرنى
مستخفياً فى ثنايا التاريخ . أى أوديب لقــد مضى وقت
الطمأنينة . أفق من سعادتك .

الفصل الثالث

« إنى أضرع إليكم فى ألا
تظنوا بى ازدراء القوانين »

[سوفوكل : أوديب فى كولونا]

أوديب [وقد أخذ بالمعطف الملكى لجوكاست]

كلا ! أريد أن أعلم . لا تَـتَـسَـلَّى كما ينسلّ الظل . فلن أُعفيك حتى أعلم . لن أخليك حتى أعلم كل ما عندك من الحقائق . إن هنا شيئاً غامضاً ملتبسا أريد أن أوضحه مهما يكن من شىء . وأجيبينى أولا : أكنتِ تعلمين بموت لايوس حين دخلت ثيبا بعد أن أتيح لى قهر أبى الهول ؟

چوكاست

كيف أعد بالعرش قاهر أبي الهول دون أعلم أنى آثم !

أوديب

فلم يكن يكفى للاستئثار بملك ثيبا أن يقهر أبو الهول ، بل لم يكن بد من قتل الملك .

چوكاست

بماذا تريد أن تتهم نفسك .

أوديب

كلا ! كلا . إنك تتعجلين ، إنما أردت أن أقول لم يكن بد من أن يموت الملك .

چوكاست

اسمع لى : لست أذكر جيداً حقيقة ما كان ولا كم مضى من الوقت بين موت الملك ووصولك إلى ثيبا ، إنما يعرف ذلك حق المعرفة كريون ، وهو يستطيع أن ينبئك بجليته .

أوديب

ما الذى يعنينى من أمر كريون ؟ أتعلمين ماذا قال لى ؟ لقد قال لى إن من الحق علىّ أن أكافئ قاتل لايوس لا أن أعاقبه ، فلولا جريمته لما ارتقيت إلى العرش . ولكن موت الملك أكنت تعلمينه ؟ قولى يا چوكاست .

چوكاست

كيف تريد أن أذكر ذلك يا صديقى ؟ بماذا تريد أن تعذب نفسك ؟ لست أعلم إلا شيئاً واحداً وهو أنى لم أكد أراك حتى أردتك .

أوديب

لم يكن بد من أن يخلو العرش والسرير من صاحبهما قبل أن يشغلهما شخص آخر . وقتل الملك وحده هو الذى أتاح لى الظفر بهما . ولكن أنت ألم تكونى تعلمين أنك حرة ؟

چوكاست

ياصديقى ياصديقى لاتنبه إلى شىء من هذا ؛ فإن أحداً من المؤرخين لم يلتفت إليه .

أوديب

إذن فأنا أفهم كل شيء . لقد كنت تعرفين قاتل الملك .

چوكاست

صه .

اوديب

القاتل هو أنا .

چوكاست

اخفض صوتك .

أوديب

لم أكن قد أزلت عن يدى دم القتيل حين كنت أسعى
إلى أبى الهول لأقهره .

چوكاست

قف .

أوديب

لقد كان يريد أن يمنعنى من التقدم . كانت عربته تعترض طريقى ، فلما خاصمته فى ذلك ليفسح لى الطريق قتلته . هذا المجهول الذى لم يكن يحمل شارة الملك لم يكن إلا . . .

چوكاست

لماذا تريد أن تعلم ؟

أوديب

أنا شديد الحاجة إلى ذلك .

چوكاست

ألا تشفق على سعادتك ؟

أوديب

لا أشفق على شىء . لا أريد سعادة تقوم على الجهل والخطأ . هذه السعادة تليق بالشعب ، أما أنا فلست فى حاجة إلى أن أكون سعيداً . لقد قضى الأمر وتمزق سحاب تلك الأحلام الساحرة . تستطيع أن تأتى ياتيرسياس .

يدخل تيرسياس يقوده كريون

تيرسياس

أأنت فى حاجة إلىّ ؟

أوديب

لم يأت وقت الحاجة إليك بعدُ . أريد قبل ذلك أن أهبط إلى قاعة الهوة . قل لى ، هذا الملك الذى قتلته . . . كلا ! لا تقل شيئاً . لقد فهمت كل شىء . لقد كنت ابنه .

كريون

آه ! يا للعجب ! ماذا أسمع . . . ؟ أتكون أختى أمه ! أوديب هذا الذى كنت أحبه أيمكن أن يتخيل الإنسان أبشع من هذا ؟ ألا أعلم أيكون صهرى أم ابن أختى ؟

أوديب

ألا يعنيك إلا هذا ؟ لا تشغلنى بصلات النسب هذه ، فلو أن ابنىّ كانا لى أخوين لازداد حبى لهما قوة .

كريون

ائذن لى فى أن أرى هذا الخلط بين ألوان الشعور مؤلما . ومع ذلك فمن حقى عليك ان تحرمنى ، ألست خالك ؟

أوديب

يا لها من مكافأة بغيضة على حل اللغز ! ماذا ؟ أهذا هو اللغز الآخر الذى كان يستخفى وراء أبى الهول . وأنا الذى كان يهنئ نفسه بجهل أبويه . بفضل هذا الجهل تزوجت أمى . واحسرتاه ! واحسرتاه ! وتزوجت معها ماضىّ كله : الآن أفهم لماذا نامت مروءتى . لقد كان المستقبل يدعونى عبثا لأن چوكاست كانت تردّنى إلى وراء . أى چوكاست : لقد كنت تزعمين فى جنون إلغاء ما لم يكن بد من وقوعه ، أنت التى كنت أحبها حب الزوج

وكنت أحبها دون أن أعلم حب الابن . . . لقد آن الوقت دعيني ! إني لأقطع ما بيني وبينك من صلة . أما أنتم يا بنيّ يا رفاق غفلتي ، أيتها الحقائق الواقعة لما ثار في نفسي من رغبات : سأدخل من دونكم في المساء لأتم ما كتب لي من مصير .

تيرسياس

أي أوديب يا ابن الخطأ والخطيئة لتولد من جديد . قد كنت في حاجة إلى الألم ليتجدد شخصك . خذ بحظك من الندم ، أقبل على الإله الذي ينتظرك . سيوضع عنك وزرك .

أوديب

بأمر الإله الذي رسم لي طريقي قبل أن أولد نصب الشرك لأوخذ فيه . فليس بد من إحدى اثنتين : فإما أن

يكون الوحى قد كذب ، وإما أن يكون الهلاك قد قضى علىّ . لقد كنت مجبرا .

تيرسياس

كنت مجبرا بحكم الإله الذى يستطيع وحده أن يصلح بينك وبين نفسك وأن يكفر عنك خطيئتك . ستفكر فى هذا . ولكن أليس من الخير أن ينبه الشعب . لقد وعدته أنت بعقاب المجرم كما أراد الإله ليرفع عنه الشر .

أوديب

أنبئ من شئت . لا أريد أن يجهل أحد شيئاً . ادع أبنائى أيضاً . ولكن أنبئهم أنت . أنبىء الناس جميعاً بما لا أحسن أنا إنباءهم به . أنبئهم بهذه الجريمة التى لا أعرف كيف أسميها .

يخرج تيرسياس
١

جوكاست

لماذا تذيع ما يمكن أن يظل بيننا مكتوما ؟ كان من الممكن ألا يتوهم أحد شيئاً . وما زال هذا ممكنا إلى الآن . لقد نسيت الجريمة . إنها لم تمنع ، بل إنها أتاحت سعادتك . لم يتغير شيء .

أوديب

كيف تقولين لم يتغير شيء . لقد تغير كل شيء ، ولم يبق شيء واحد كما كنت أفهمه من قبل . فقد كنت أولا ابن ملك دون أن أعلم . ولم أكن فى حاجة إلى القتل لأملك . كان يكفى أن أنتظر .

جوكاست

أراد الآلهة شيئاً غير هذا .

أوديب

وإذن فما عملته لم أكن أستطيع أن أتركه . نعم لقد كنت أعتقد أن إلـهاً يهديني وكنت أستمد من هذا الاعتقاد الثقة بسعادتى ، ثم أهملت هذا الاعتقاد نفسه وجعلت أعتمد على نفسى . أما الآن فلست أعرف نفسى فى أعمالى . هناك عمـل مع ذلك صـدر عنى وأود لو أجحده . . . لأن مظهره قد تغـير . أو لأن نظرى إليـه قد تغير على الأقل حتى أصبح كل شىء يبدو لى مختلفا .

چوكاست

لقد أضلك إلـه فى ذلك الوقت .

أوديب

إلـه ، تقولين ؟ لقد كنت أرى نفسى قويا بحيث أستطيع أن أستغنى حتى عن الإلـه . لقد أردت أن أتحول عنه حين اتجهت إلى أبى الهول . لماذا ؟ هذا هو الذى أفهمه الآن . لقد كنت راضياً بالخضوع للإلـه حين كان يقودنى إلى المجد ، لا حين يقودنى إلى الجريمة ، إلى الجريمة التى أخفى علىّ بشاعتها . . . يا لها خيانةً من الآلهة ملؤها الجبنّ ! إنها لخيانة لا تطاق . . . ألا أزال إلى الآن خاضعاً لها ؟ هل تنبأ الوحى بما يجب أن أصنع ؟ أيجب أن أستشيره أيضاً ؟ بماذا عسى أن تنبئك الطير يا تيرسياس ؟ وددت لو أفلت من الآلهة التى تحيط بى ! وددت لو أفلت من نفسى . إن فى نفسى شيئاً يعذّبنى . إنه يشبه البطولة . إنه يتجاوز طاقة الإنسان . وددت لو اخترع ألما جديداً

لا أدرى ما هو . وددت لو أخترع حركة جنونية تدهشكم جميعا . تدهشنى أنا وتدهش الآلهة . هاتان العينان اللتان لم تحسنا تنبيهى لست . . .

يخرج أوديب

چوكاست

اتبعه يا كريون . لا تَدَعْـه لحظة .

يخرج كريون

چوكاست [وحدها]

أيها التعس أوديب : ما حاجتك إلى المعرفة ؟ لقد عملت ما استطعت لامنعك من تمزيق القناع الذى كان يحمى سعادتنا . لقـــد طردتني وهأنذى الآن عارية بشعة . كيف أستطيع أن أظهر أمام عينيك ، أمام أعين أبنائنا ، أمام أعين الشعب الذى أحس مقـــدمه ؟ وددت لو

رجعت أدراجى ونقضت كل ما عقد ، ونسيت مريونا المخزى ، ولم أصبح أمام الموتى الذين ينتظروننى إلا زوج لايوس وحده . . .

تدخل الجوقتان وتخرج جوكاست

الجوقتان [تتحاوران]

أين تذهب الملكة ؟ — تستخفى بالطبع — أين ذهب أوديب ؟ يستخفى أيضاً . إنه خجل . — أن يتزوج الرجل أمه ويولدها الولد . . . كل هذا من شؤون الأسرة وهو لا يعنينا ، إنما يعنى الآلهة الذين يسخطون عليه — وهناك قتل لايوس وقد اقترفه ابنه أوديب — وقد وعد أوديب أن يثأر له . يمكن أن يقال إنه اضطر نفسه إلى حرج شديد . يجب أن يثأر الثائر من نفسه ، وأن

يتخذ نفسه على أنه مقترف الجريمة — لم يكن بد لإرضاء الآلهة من سقوط ملك ، فقد كان شقاؤنا عظيما — أليس من الطبيعى أن يضحى الملك بنفسه فى سبيل شعبه ؟ بلى ! إذا كان من شأن هذه التضحية أن تنقذنا من الشقاء .

الجوقتان معا

أى أوديب الذى كان يرى نفسه سعيدا ويقترف فى سريره أشد الآثام خزيا : ليتنا لم نعرفك . لقد أنقذتنا من أبى الهول ، هذا حق ، ولكن ازدراءك للآلهة يجر علينا آلاما لا تحصى ولا يكافئها ماقدمتَ إلينا من خير . كل نعيم يُنال على رغم الآلهة ، فهو نعيم مغصوب يجب أن يُؤدى عنه الحساب إلى الآلهة عاجلا أو آجلا . لنعلنْ هذه الآراء جهرة ، فإنا نرى تيرسياس مقبلا .

يدخل تيرسياس ومعه أبناء أوديب

تيرسياس

يا بنىّ : إنكم لتعلمون أين تجدون الملجأ إذا فقدتم حماية أبيكم . ها كم ما سيدفعكم إلى الحياة دفعا . وقد التزم أوديب بقسمه أن يثأر من قاتل لايوس .

إتيوكل

ما أرى أنه يستطيع أن يرى لنفسه الحق فى عرش تيبا .

بولينيس

ما أرى أنه يستطيع البقاء فى المدينة .

أنتيجون

لا تنطقا بهذه الألفاظ القاسية التى تسمعها الآلهة ويردونها عليكما .

إتيوكل

سنتبع سيرة أبينا .

يولينيس

لن نحتاج نحن إلى أن نقتله لنرث عنه العرش

أنتيجون

إن أبى لم يقترف جريمته عن عمد..

إتيوكل

لن تكون لنا خطايا نحتاج إلى أن نكفرعنها .

يسمع صياح

الجوقة

ما هذا الصياح ؟

إسمين

إنى خائفة ..

أنتيجون

تعالىْ إلى جانبي ـ

يخرج كريون من القصر

كريون

إن بشاعة العقاب لأشنع من بشاعة الجريمة . لقد قضت أمكم جوكاست . لقـد انتهت حياتها حينما كنت ألاحظ أوديب «هذا ما لم يكن لعينىّ أن ترياه» . كذلك قال أوديب حين عرفنا النبأ . أما أنا فقد رأيته . رأيت أختى البائسة

معلقة . وبينما كنت أجدّ فى إسعافها اندفع أوديب إلى المعطف الملكى فانتزع منه مشابكه الذهبية ، ثم دفع بها فى عينيه دفعاً عنيفاً ، وإذا الدم والصديد يتفجران منهما حتى يصيبنى رشاشهما ، وإذا هما يسيلان على وجهه . وهذا الصياح الذى كنتم تسمعونه إنما هو صياحه ، صياح الروع أولا ، ثم صياح الألم بعد ذلك .

تيرسياس

لم نعد نسمع هذا الصياح .

كريون

لعله أغمى عليه .

الجوقة

لا ، بل ها هو ذا . إنه لمتردد الخطو .

أنتيجون [تترك إسمين وتسرع للقاء أوديب]

أبت . . .

أوديب

هذه أنتيجون التى أمس الآن شعرها ؟ ابنتى وأختى فى وقت واحد . . .

أنتيجون

لا تذكر هذا الخزى إلى آخر الدهر . لا أريد أن أعرف إلا أنى ابنتك .

اوديب

أنت التى لم تكذبنى قط . أنبئى هذا الذى لم يعد يرى : أين يكون تيرسياس .

أنتيجون

هنا . أمامك يا أبت .

أوديب

قريباً منى بحيث يسمع صوتى ؟

تيرسياس

نعم إنى أسمعك يا أوديب . أتريد أن تتحدث إلىّ ؟

أوديب

أهذا هو الذى كنت تريده يا تيرسياس ؟ كنت تحسدنى على ضوئى ، فأردت أن تجرنى إلى ظلمتك ؟ إنى مثلك أشاهد الآن الظلمة الإلهية . لقد عاقبت عينىّ اللتين

لم تضيئا لى الطريق . لن تستطيع منذ الآن أن تستطيل علىّ بما يمنحك العمى من تفوق .

تيرسياس

إذن فهى الكبرياء التى دفعتك إلى أن تفقأ عينيك . لم يكن الإله ينتظر منك هذا الإثم الجديد ثمنا لجريمتك الأولى ، إنما كان ينتظر منك الندم ليس غير .

أوديب

الآن وقد ثاب إلىّ الهدوء وسكت عنى الألم وفارقنى السخط على نفسى ، أستطيع أن أجادلك يا تيرسياس . إنى لمعجب بما تعرض علىّ من ندم . أنت الذى يزعم أن الآلهة يقودوننا وأنى لم أكن أستطيع أن أفلت مما قدروا علىّ .

لعل هذه التضحية التي فرضتها على نفسى كانت مقدرة علىّ هى أيضاً بحيث لم أكن أستطيع أن أتجنبها . لا بأس ! لقد ضحيت بنفسى عن إرادة ورضا ، لقد بلغت من الرفعة منزلة لم أكن أستطيع أن أعدوها إلا إذا وثبت محاربا لنفسى .

كريون

إنى لسعيد أيها العزيز أوديب بأن ألمك محتمل على الأقل . فقد بقى علىّ أن أنبئك بشىء مؤلم . لن تستطيع البقاء فى ثيبا بعد كل الذى كان وبعد أن علم الشعب بجريمتك .

الجوقة

إننا نطلب أن ينفذ أمر الآلهة ، وأن تعفينا من محضرك ومن آلامنا .

كريون

إن إتيوكل وبولينيس ليطمعان فى العرش منذ الآن . وإذ كانا ما يزالان حديثين لا يستطيعان النهوض بأعباء الملك ، فسأستأنف الوصاية على العرش مرة أخرى .

تيرسياس

ما أرى أن شيئاً يدهشك حين ترى ابنيك ينتفعان عما قدمت إليهما من قدوة .

أوديب

سأترك لهما راضياً هذه المملكة التى لم يفتحاها ولم يستحقاها ، ولكنهما لم ينتفعا من القدوة التى قدّمت لهما إلا باليسير الذى يتملق شهواتهما . لقد أخذا بالسهل وتجنبا الصعب العسير .

أنتيجون

أى أبت : إنى لأعلم أنك حين تختار لاتؤثر من الأمر إلا أنبله ، ومن أجل ذلك أزمعت ألا أفارقك .

تيرسياس

لقد وعدت بأن تمنحى نفسك للإله ، فلن تستطيعى أن تتصرفى فى أمرك كما تحبين .

أنتيجون

كلا ! لن أخلف موعدى . إنى حين أفلت منك يا تيرسياس سأظل وفية للإله . بل يخيل إلىّ أنى أخلص فى خدمته حين أتبع والدى أكثر مما أخلص فيها إن بقيت معك . لقد سمعتك تعلمنى حقائق الإله إلى اليوم ، ولكن حظى من التقوى سيعظم ويزداد حين أصغى

لعقلى وقلبى . أى أبت : ضع يدك على كتفى ، فلن يدركنى ضعف ولا وهن . تستطيع أن تعتمد علىّ . سأزيل الشوك من طريقك . قل إلى أين تريد أن تذهب ؟

أوديب

لا أدرى . سأذهب أمامى . . . لا ألوى على شىء . لا وطن لى ولا أسرة . . .

إسمين

إنى ليحزننى أن أراكما تذهبان على هـذا النحو . سألبس ثياب الحداد ، وسأدرككما ممتطية جوادا .

تيرسياس

قبل أن ينطلق أوديب اسمعوا جميعاً لما أوحى إلىّ

الآلهة . إنهم يَعِدون أن يمنحوا أعظم بركاتهم للأرض التى تستقر فيها جثته .

كريون

حسن . . . ! أترى أنك تحسن إن أقمت بيننا؟ نستطيع أن نتفق .

أوديب

لقد سبقت الكلمة يا كريون . إن نفسى قد فارقت ثيبا منذ الآن ، وقد تقطع كل ما بينى وبين الماضى من صلات . لست ملكا ، لست شيئاً ، إنما أنا ابن سبيل لا اسم له ، قد نزل عن ثرائه وعن مجده . بل عن نفسه أيضاً .

الجوقة

أقم معنا يا أوديب . سنُعنى بك . سترى . تذكَّر أنك أسديت إلينا فيما مضى من الدهر عوارف كثيرة . لئن كانت جريمتك قد أحفظت علينا الآلهة ، لقد انتقمت لها من نفسك انتقاماً عظيما . فكر فى الأعزاء عليك من أبناء ثيبا . فكر فى شعبك . ما الذى يعنيك من أمر الذين لا يعرفونك ؟

أوديب

مهما يكونوا فإنهم من الناس . وإنه ليلذ لى أن أحمل إليهم السعادة ثمناً لما ألقى من ألم .

تيرسياس

ما ينبغى أن تريد لهم السعادة ، وإنما ينبغى أن تريد لهم النجاة .

أوديب

سأدعك تفسر هذا الشعب . وداعاً ! تعالىْ يا ابنتى .
أنت الوحيدة بين أبنائى أريد أن أعرف نفسى فيك ،
وأريد أن أكل نفسى إليك ، أى أنتيجون النقية : لن
أسلم قيادى إلا إليك .

اُبسبوس

أهدى هذا السفر الأخير إلى

آن هورجون

فى غير تكلف

فبفضل ضيافتها الحلوة ورعايتها المتصلة وعنايتها الدائمة

أستطعت أن أتمه

وأسجل هنا إعترافى بالجميل

لجاك هورجون

ولكل الذين أتاحوا لى أثناء هذا النفى الطويل

أن أعرف قيمة الصداقة وبنوع خاص

لجان أمروش

الذى أحسن تشجيعى على هذا الجهد . ولعلى

لم أكن بدونه أجد الميل إلى البدء فيه مع أنى

أفكر فى كتابه منذ وقت طويل .

١

لقد كنت أتمنى أن أقص حياتى على ابنى هيپوليت[٦] لأعظه وأعلمه، ولكن قد قضى. وسأقص حياتى مع ذلك.
وقد كان مما لا سبيل إليه، لو عاش هيپوليت، أن أروى بعض حوادث الغرام التى عرضت لى. فقد كان يظهر غلواً شديداً فى الحياء، ولم أكن أجرؤ على أن أتحدث أمامه عما لقيت من الحب. على أن الحب لم يكن ذا خطر إلا فى الشطر الأول من حياتى. ولكنه علمنى على الأقل أن أعرف نفسى بالقياس إلى الوحوش المختلفة التى قهرتها.

فقد كنت أقول لهيبوليت : « يجب قبل كل شيء أن يعرف الإنسان من هو ، ثم يحسن بعد ذلك أن نستحضر فى شعورنا ونأخذ بأيدينا ما ترك لنا من ميراث . وسواء أردت ذلك أم لم ترده ، فأنت الآن ، كما كنت أنا من قبلك ، ابن ملك . لا سبيل إلى اتقاء ذلك . إنه واقع . إنه ملزم . »
ولكن هيبوليت لم يكن يلقى إلى ذلك سمعاً . كانت عنايته به أقل من عنايتى حين كنت فى سنه ، وكان مثلى لا يحفل بأن يعرف من ذلك شيئاً . يا للأعوام الأولى التى نحياها فى البراءة والنقاء ! نشأة غير مكترثة ! لقد كنت الريح وكنت الموج . وكنت نباتا وكنت طائرا . لم أكن أقف عند نفسى ، وكان كل اتصال بينى وبين العالم الخارجى لا يعلمنى حدود طاقتى بمقدار ما يوقظ فىَّ من ميل إلى اللذات . لقد مسحت بيدى الثمر وقشر الشجر الرخص ، والحصى الأملس على ساحل البحر ، وشعر الكلاب والخيل

قبل أن ألمس النساء . لقد كنت أثب إلى كل ما كان يقدم إلىّ پان [٧] ، أو ذوس [٨] ، أو تيتيس [٩] ، من جمال .

وذات يوم قال لى أبى إن الأمور لا تستطيع أن تمضى على هذا النحو . « لماذا ؟ » لأنى بالطبع كنت ابنه وكان يجب أن أظهر نفسى كفئا للعرش الذى سأرثه عنه ... على حين كنت أرى نفسى سعيداً بالجلوس عاريا على العشب الرخص أو على الرملة الملتهبة . ومع ذلك لا أستطيع أن أخطّئ أبى ، فقد كان يحسن بإثارة عقلى خصما لى . وأنا مدين لذلك بكل ما أتيح لى من قيمة فيما بعد ، بانقطاعى عن هذه الحياة المهملة مهما يكن هذا الإهمال لذيذا رائقا . لقد علّمنى أن الإنسان لن يظفر بشىء عظيم ولا بشىء قيم ولا باق إلا إذا بذل الجهد فى سبيله .

وقد بذلت أول جهد مستجيبا لدعائه . كان ذلك حين كان يدعونى إلى أن أرفع بعض الصخور لأبحث تحتها عن

سلاح كان يزعم لى أن پوسيدون [١٠] خبأه . وكان يضحك حين كان يرى هذا التمرين يزيد قوتى نموا واشتدادا . وهذا التمرين العضلى كان يصاحب تمرينا للإرادة . وبعد أن رفعت كثيرا من الصخور الثقال حول القصر باحثا فى غير طائل أخذت أحاول أن أنزع أحجار عتبة القصر ، هنالك وقفنى وقال :

— إن السلاح أقل خطراً من الذراع التى تحمله ، وإن الذراع أقل خطراً من الإرادة العاقلة التى توجهها . هاك السلاح . لم أرد أن أدفعه إليك قبل أن تستحقه . وإنى أجد عندك الآن الرغبة فى اصطناعه ، وهذا الميل إلى المجد الذى لن يتركك تصطنعه إلا فى الأمور النبيلة ذات الخطر وفيما يسعد الناس . لقد انقضى عصر طفولتك ، فكن رجلا . تعلّم أن تبين للناس ما يمكن أن يكون وما يريد أن يكون واحد منهم . إن هناك أمورا جساما يجب أن تتحقق . فحقق نفسك .

٢

كان أبى إيجيه [١١] رجلا كريماً ملائماً كل الملاءمة لما يجب أن يكون عليه الرجل من الخصال . وأ كاد أتوهم فى حقيقة الأمر أنى لست ابنه إلا ظنا . قيل لى هذا ، وقيل لى كذلك إن الإله پوسيدون هو الذى ولدنى . فإذا صح هذا فقد ورثت عن هذا الإله أخلاق التى لاتثبت على شىء . فلم أستطع أن أثبت على حب امرأة . وكان إيجيه يمنعنى من ذلك أحيانا . ولكنى أحمد له وصايته ، وأحمد له كذلك أنه رد فى أتيكا كثيراً من الاعتبار والتقدير إلى عبادة أفروديت [١٢] ، ويحزننى أنى دفعته إلى الموت بما

اضطررت إليه من هذا النسيان الخطير حين أنسيت أن أرفع على السفينة التى عادت بى من أقريطش (١٣) شُرُعاً بيضاً مكان شرعها السود، كما كان قد تم الاتفاق بيننا على ذلك إذا عدت منتصراً من هذه المغامرة الخطرة . وليس الإنسان قادراً على أن يفكر فى كل شىء . وفى الحق أنى سألت نفسى — وقلما أسألها — لا أستطيع أن أؤكد أنى تركت ذلك عن نسيان؛ فقد كان إيچيه كما قلت يقوم عقبة بينى وبين الحب، ولا سيما بعد أن استكشفت له ميديه (١٤) وسيلة ترده إلى الشباب حين رأته ورأى نفسه هرما يسرع إليه الفناء، فكان يصدنى بأهوائه عن أهوائى، على حين أن طبيعة الأشياء تقتضى أن يتناوب الناس حظوظهم فى هذه الحياة . ومهما يكن من شىء فقد علمت حين دخلت أتينا أنه لم يكد يرى الشرع السود حتى قذف بنفسه إلى البحر .

ومن الحقائق أنى أديت إلى الناس خدمات جليلة ، فقد طهرت الأرض من كثير من الطغاة وقطاع الطرق والوحوش ، وجبت طرقا خطرة لم يكن المغامرون يحاولون سلوكها إلا خائفين ، وصفيت السماء حتى أصبح الناس أقل إحناء للرءوس وأقل خوفا من المفاجآت . . .

ويجب الاعتراف أن مظهر الريف فى ذلك الوقت لم يكن يشعر بأمن أو طمأنينة ؛ فقد كانت تمتد بين القرى المتنائية مسافات من القفر تقطعها طرق مخوفة . وكانت هنالك غابات كثاف وثنيات ضيقة بين الجبال . وكان أرصاد من قطاع الطرق قد استقروا فى الأماكن المريبة ، وجعلوا يقتلون المسافرين وينهبون ما كانوا يحملون ، ولم يكونوا يخضعون لرقابة شرطة أو حراس . وكان قطع الطريق يضاف إلى السطو والسرقة العنيفة وإلى اعتداء الحيوان المفترس وإلى هذه القوى المنكرة لعناصر الطبيعة

الماكرة ، بحيث لم يكن الناس يتبينون حين يرون مغامراً أصابه مكروه : أكان ضحية لمكر الآلهة أم كان ضحية لعدوان الناس ؟ كما أنهم لم يكونوا يعلمون أكان هذا الوحش أو ذاك كأبى الهول الذى قهره أوديب والجورجونى[١٥] التى قتلها بلليروفون[١٦] صنفاً من الناس أم صنفاً من الآلهة ؟ كل شيء لا يسهل فهمه كان يظن به أنه من عمل الآلهة ، وقد كان الدين مليئاً بالخوف حتى كان الناس يرون البطولة إثماً وفجورا . وكان أول الانتصار الذى ظفر به الإنسان وأعظمه خطراً هو انتصار الإنسان على الآلهة .

ولم يكن سبيل إلى قهر العدو سواء أكان إنساناً أم إلـها إلا أن تظفر بسلاحه وتقهره بهذا السلاح . كذلك فعلت حين اغتصبت من پيريپتيس[١٧] سلاحه ، وكان مارداً عاتياً بعيد الصيت يقيم فى مدينة اپيدور[١٨] . وصعقة

ذوس نفسها أؤكد أن وقتاً سيأتى يستطيع الناس فيه أن يسخروها لحاجاتهم كما استطاع پرومثيوس[١٩] أن يختلس النار من الآلهة

نعم ! هذه هى الانتصارات الحاسمة . أما بالقياس إلى النساء وهن مصدر قوتى وضعفى فى وقت واحد ، فلم يتح لى انتصار حاسم قط ، وإنما احتجت دائماً إلى استئناف الجهاد . لم أكن أفلت من إحداهن إلا لأقع فى حبائل غيرها . ولم أكن أظهر على إحداهن إلا بعد أن تظهر هى علىّ . لقد كان پيريتوس[٢٠] محقاً حين كان يقول — وما أكثر ما كنا نتفق فى الرأى — إنما المهم هو ألا يدع الإنسان نفسه يصبح لعبة لإحداهن ، كما كان هيرقل[٢١] بين ذراعى أمفال[٢٢] . ولما كنت لا أستطيع ولا أريد أن أمتنع على النساء ، فقد كان يقول لى كلما رآنى نهبا للحب « امض ولكن تحول » . أما تلك

التي أرادت أن تحتاط لي فتكلفت أن تصل بينها وبيني بخيط أمسكته، ولكنه لم يكن يمتد إلى غير مدى، فهي التي ... ولكن الوقت لم يئن للتحدث عن هذه القصة ...

وكانت أنتيوب [٢٣] أقربهن إلى امتلاكي . كانت ملكة الأمازون [٢٤] ، وكانت كبقية رعيتها الإناث عوراء الصدر ليس لها إلا ثدي واحد ، ولكن هذا لم يكن يعيبها . كانت قد مرنت على السباق والصراع ، وكانت عضلاتها صلاباً غزارا كعضلات المصارعين من فتياننا . جاهدتها . وكانت تضطرب بين ذراعي ، كأنها السنور العظيم . فإذا نزع سلاحها جاهدت بالمخالب والأسنان ، وكانت تثور حين تراني أضحك — وكنت مثلها لا سلاح لي — وتثور خاصة لأنها لم تكن تملك أن تصرف عني حبها ، لم تتح لي قط امرأة أجمع منها لخصال العذراء ولا علي بعد ذلك أنها لم ترضع ابننا هيپوليت إلا

من ثدى واحد ، فقد كنت حريصاً على أن يكون هذا
العفيف النافر ولى عهدى . وسأقص فيما بعد ما جعل
حياتى كلها حداداً . فليس يكفى أن يوجد الإنسان ،
ولا أن يكون قد وجد ، وإنما يجب أن يورث ويعمل
بحيث يشعر أن وجوده لم يتم ، وأنه مازال متصلا محتاجاً
إلى أن يكمل . كذلك كان يعيد علىّ جدى . لقد
كان بيتيه (٢٥) وإيچيه أذكى منى قلباً ، كما أن
پيرتيوس يفضلنى الآن فى الذكاء . ولكن يعرف الناس
فىّ حسن التقدير فأما سائر خصال الخير فتأتى بعد ذلك
ما دمت لم أفقد قط الإرادة التى تدفعنى إلى الرغبة فى
الإتقان لكل ما أحاول . كما أن لى حظًّا من شجاعة
يدفعنى إلى محاولة الأمور الجسام . كنت من أشد الشباب
طمعاً ، وكانت المآثر التى تنقل إلىّ عن ابن خالتى هرقل
تزيد شبابى طموحاً وقلقاً ، ولما تركت تريزين (٢٦) وهى

المدينة التي كنت أعيش فيها لألحق فى أثينا بأبى المفروض ، لم أرد أن أسمع للنصائح التى قدمت إلىّ على ما كانت تمتاز به من سداد . كان يشار علىّ بركوب البحر ، لأن طريق البحر أشد أمنا . ومن أجل هذا الخطر كنت أوثر طرق البر لأنها بما فيها من التواء كانت تتيح لى ان أظهر حسن بلائى . وكانت جماعات مختلفة من قطاع الطرق قد ملأت الأرض فسادا أسرفت فى ذلك آمنة منذ أخذ هيرقل يستأنث على قدمى أومفال . كنت فى السادسة عشرة . وكان الميدان أمامى رحبا ، وكانت نوبتى قد حلّت ، وكان قلبي يتوثب إلى أقصى حدود ما كنت أجد من فرح ومرح . هنالك صحت : ما حاجتى إلى الأمن أو إلى طريق قد طهرت من الخوف . وكنت أزدرى الراحة فى غير مجد ، كما كنت أزدرى الترف والكسل . وإذن فقد جربت نفسي حين سلكت إلى أتينا برزخ

پيلوپونيز [٢٧] ، فعرفت قوة ذراعى ، وقوة قلبى ، حين قهرت بعض المخوفين من قطاع الطريق : سنيس [٢٨] ، بيربيتيس ، بروكروست [٢٩] ، چيريون [٣٠] ، (لقد أخطأت إنما قهره هيرقل ، أما أنا فقد أردت أن أقول سيرسيون [٣١]) ، بل ارتكبت فى ذلك الوقت خطأ يسيراً حين أسأت إلى سيرون [٣٢] ، وكان فيما يظهر رجلا كريماً حسن النية حسن الرعاية لمن يمر به ، ولكنى لم أعلم ذلك إلا بعد فوات الوقت ، ومن حيث إنى قد ظهرت عليه وقتلته فقد تقرر أنه كان مجرماً أثيما .

وفى طريقى إلى أثينا أيضاً لقيت أول ابتسامات الحب بين جماعة من نبات الهليون . كانت بيريجون [٣٣] طويلة لدنة ، وكنت قد قتلت أباها ، فكافأتها بأن منحتها غلاماً رائعاً هو : ميناليپ [٣٤] . وقد فقدت الصبى كما فقدت أمه لأنى تحولت عنهما ، حريصاً على ألا أتأخر فى الطريق .

وكذلك كنت دائماً أقل اشتغالا واتصالا بما عملت ، منى بما ينبغى أن أعمل . وكنت أرى أن أشد الأشياء خطراً هو ما أنتظر لا ما أتممت .

ومن هنا لن أطيل الوقوف عند هذه المعدات اليسيرة التى لم تكد تمسنى إلا قليلا . ولكن هأنذا بإزاء مغامرة رائعة لم يتح مثلها لهيرقل نفسه . فيجب أن أقصها مفصلة .

٣

إنها قصة معقدة . يجب أن أقول قبل كل شيء إن جزيرة أقريطش كانت قوية . وكان يملك عليها مينوس [٣٥] وكان يرى أتيكا مسؤولة عن موت ابنه أندروجيه [٣٦] ، وكان قد فرض علينا ليعاقبنا ضريبة يجب أن نؤديها فى كل عام . كان يجب أن نقدم إليه سبعة من الفتيان وسبعاً من الفتيات ليقربوا فيما كان يقال طعاما للمينوتور [٣٧] ، وهو الكائن الغريب الذى ولدته پاسيفاييه [٣٨] زوج مينوس حين كانت بينها وبين ثور بعض الصلات . وكان هؤلاء الضحايا يختارون من طريق القرعة .

وكنت فى هذا العام قد عدت إلى بلاد اليونان . ومع أن الحظ كان خليقاً أن يحمينى — فهو يحمى الأمراء عن رضا — فقد ألححت فى أن أكون بين الضحايا على رغم ما وجدت من مقاومة الملك والدى . . . فلست فى حاجة إلى الامتيازات الموروثة ، ولا أريد أن أمتاز إلا بشجاعتى وبأسى . وكنت أدير فى نفسى أنى سأقهر المينوتور وأريح اليونان من هذه الضريبة البشعة ، وكنت على ذلك مشوقا إلى أن أرى أقريطش التى كانت ترسل إلينا فى أتيكا بغير انقطاع أشياء جميلة مترفة غريبة . فقد سافرت إذن بعد أن انضممت إلى الثلاثة عشر الآخرين وبينهم صديقى بيريتوس .

وقد ألقت سفينتنا مرساها ذات صباح من أيام مارس فى ضاحية أمنيسوس (٣٩) وهى الميناء القريب بمدينة كنوسوس (٤٠) عاصمة الجزيرة حيث يقيم الملك وحيث

بنى قصره . وكان يجب أن نصل من الليل ، ولكن عاصفة شديدة أخرتنا . فلما هبطنا إلى الساحل أحاط بنا أحراس مسلحون ، ثم أخذوا سيفى وسيف صديقى بيريثوس ، واستوثقوا من أننا لا نحمل سلاحاً آخر ، ثم قادونا لنمثل بين يدى الملك الذى أقبل من كنوسوس مع حاشيته . وكانت جماعات ضخمة من الشعب تزدحم لترانا . وكان الرجال جميعاً عراة الصدور والظهور ، وكان مينوس وحده وقد جلس تحت مظلته قد اتخذ رداء أحمر قانيا غير مخيط يتدلى من كتفيه إلى كعبيه فى أثناء نخمة . وعلى صدره العريض كأنه صدر ذوس قد انتظمت عقود ثلاثة بعضها فوق بعض . وكثير من أهل الجزيرة يتخذون مثل هذه العقود ولكنها عقود مبتذلة . أما عقود الملك فكانت تأتلف من الجمان وقطع من الذهب قد نقشت عليها أزهار السوسن . وكان يجلس على عرش

تعلوه الفأس المثناة ، واتخذ فى يمينه التى قدمها إلى أمام مباعداً بينها وبين جسمه صولجانا من الذهب يبلغ قامته طولا ، وأمسك بيده الأخرى زهرة مثلثة الأوراق تشبه ما اشتملت عليه عقوده لولا أنها أكبر منها . وهى فى أكبر الظن من ذهب . وعلى تاجه الذهبى قامت علامة ضخمة من ريش الطاوس والنعام والألكيون[(٤١)] . وقد أطال النظر إلينا بعد أن رحب بنا فى جزيرته مجريا على ثغره ابتسامة توشك أن تكون ساخرة ؛ فقد كان يعلم أننا إنما أتينا إلى جزيرته مقضيا علينا . وكانت الملكة وابنتاها الأميرتان قائمات إلى جانبه . وقد خيل إلىّ فوراً أن كبرى الأميرتين قد لحظتنى . وقد هم الأحراس أن يقودونا ولكننى رأيتها تميل إلى اذن الملك وتقول له فى صوت خافت باليونانية . وقد سمعتها لأنى دقيق السمع : « إنى أضرع إليك فى أن تبقى على هذا » . تقول ذلك وهى

تشير إلىّ باصبعها . هنالك ابتسم مينوس وأصدر امره فلم يفقد الحرس إلا رفاقى . ولم أكد أنفرد بين يديه حتى أخذ فى سؤالى .

ومع أنى قد أزمعت أن أصدر عن الحذر الشديد فى كل ما آتى ، وألا أظهر شيئاً من نسبى النبيل ، ولا من خططى الجريئة ، وقد ظهر لى فجاءة أن من الخير أن ألعب لعباً صريحاً ما دامت الأميرة قد التفتت إلىّ ، وأن شيئاً لن يستطيع أن يصل بينها وبينى ويكفل لى عطف الملك علىّ كما يستطيع ذلك إعلانى إليهما أنى حفيد بيتيه . بل قد لمحت بأن الناس يتحدثون فى أتيكا بأن پوسيدون العظيم قد ولدنى . هنالك قال الملك فى جد : سنتبين ذلك بعد قليل حين نخضعك لامتحان الموج . فلم أتردد فى أن أجيب بأنى واثق بأن أخرج ظافرا من كل امتحان . وقد أظهر سيدات القصر هؤلاء

شيئاً من التأثر حين رأين ثقتي بنفسي ، وإن كنت لم أر ذلك في وجه مينوس . قال الملك :

— أما الآن فانصرف إلى تجديد قواك . فإن رفاقك ينتظرونك على المائدة ، ويجب أن تكون محتاجا كما يقال هنا إلى أن تقيم أودك بعد هذه الليلة الشاقة . خذ حظك من الراحة . وأرجو أن تشهد عند آخر النهار ألعاباً رسمية ستقام تكريماً لك . ثم نستصحبك أيها الأمير تيسيوس إلى كنوسوس ، حيث تنام في غرفة من غرفات القصر ثم تشاركنا من غد في العشاء . سيكون عشاء يسيراً ، عشاء أسرة ، ترسل فيه نفسك على سجيتها ويسعد هؤلاء السيدات بأن يسمعنك تحدثهن بما قدمت من مآثر وما أحسنت من بلاء . أما الآن فسيتخذن زينتهن استعداداً للحفل . سنلقاك هناك وستجلس مع رفاقك تحت المقصورة الملكية مباشرة ، ذلك مكان

مقسوم لك لأنك أمير . وسيشرف رفاقك بالجلوس فيه معك ؛ فما أحب أن أفرق بينك وبينهم .

وقد أقيم هذا الحفل فى ملعب عظيم فى شكل نصف دائرة ينفرج مما يلى البحر . وقد شهده جمهور ضخم من الرجال والنساء أقبلوا من كنوسوس وليتوس (٤٢) ، بل جاء بعضهم من جورتين (٤٣) ، على أنها تبعد عن مكان الحفل نحو مئتى فرسخ ، وجاء بعض الناس من مدن وقرى أخرى مجاورة ، كما جاء آخرون من الريف الذى يقال إنه مكتظ بالسكان . وكان الدهش يأخذنى من جميع حواسى ، ولم أكن أستطيع أن أصور إلى أى حد كنت أرى أهل الجزيرة غرباء . ولما لم يكن يتاح لهم جميعاً أن يتخذوا مجالس فى المدرج ، فقد كانوا يزدحمون ويتدافعون فى المسارب وعلى درجات السلم . وكانت جماعة النساء ضخمة كجماعة الرجال ، وكن عاريات الصدور والظهور ، وقليل منهن

كن يتخذن القراطق قد انفرجت عن صدورهن انفراجاً واسعاً رأيته مخالفاً للحياء لما كان يظهر من أثدائهن . وكانوا جميعاً رجالا ونساء قد اتخــذوا مناطق شدوها شداً عنيفاً على أوساطهم ، فبدت خصورهم غاية فى الضآلة والنحول كأنها المرامل . وكان الرجال سمراً قد اتخذوا فى أيديهم وسواعدهم وأعناقهم من الخواتم والأساور والعقود مثــل ما اتخذ النساء . وكانت كثرتهن تمتــاز ببياض البشرة ؛ وكانت الوجوه كلهــا حليقــة لا يستثنى من ذلك إلا وجه الملك ووجه أخيه رادامنت[٤٤] ووجه صديقه تبدل[٤٥] . وكان سيدات القصر قــد اتخذن أماكنهن فى المقصورة التى أجلسنا تحتها وقد عرضن زينة رائعة مترفة من الثياب والحلى ، وأشرفن على ميدان اللعب . وكانت كل واحدة منهن قد أحاطت خصرها بثوب ألحقت به قطع عراض من النسيج ، فهو منتفش فى صورة رائعة

مما يلى الخصر ، ثم هو يتدلى فى منظر جميل مختلط حتى يبلغ الأقدام التى حبست فى أحـذية من الجلد الأبيض ، وكانت الملكة فى وسط المقصورة تمتاز منهن جميعاً بزينتها الفخمة . قد عرى صدرها وذراعاها . وقد فصلت على ثدييها العظيمين ضروب الجوهر من اللؤلؤ والمينا والأحجار النفيسـة . وقد أحيط وجهها بخصل طويلة سود ، ورصفت على جبهتهـا خصيلات دقاق . وكانت شرهة الشفتين ، منقبضة الأنف ، كبيرة العينين فارغتهما ترسل منهما نظرات توشك أن تشبه نظرات الصوار . وقد اتخذت شيئاً يشـبه أن يكون تاجاً من الذهب لم تضعه على شعرها مباشرة ، وإنما وضعته على قلنسوة قائمة غريبة تثير الضحك ، وهى تنفذ من التاج وتنتهى بطرف مرتفع محدد ينعطف إلى الأمام كأنه القرن قد انحنى على جبهتها . وكان قرطقها المفتوح من امام إلى منطقتهـا يرقى على

ظهرها حتى يبلغ العنق ، فيحاول أن يحيطه ببنيقة شديدة الانفراج . وكان ثوبها النصفي المنتشر من حولها يعرض للإعجاب على بياضه المشرب بالصفرة ضروباً من الطراز بعضها دون بعض ، منها ما يصور السوسن الأرجواني ، ومنها ما يصور الزعفران ، وأسفلها يصور زهرات البنفسج وقد أحاطت بها أوراقها الخضر . ولما كنت تحت مقصورتها كنت أراها من قريب جداً كلما التفت إلى وراء . وكنت أفتتن بحسن اختيار الألوان وجمال الطراز ودقة العمل وبلوغه حد الكمال .

وكانت أريان(٤٦) ابنتها الكبرى قد جلست عن يمين أمها مشرفة على اللعب ، وقد اتخذت زينة أقل فخامة من زينة الملكة ، واتخذت ثوبها من لون آخر ؛ فلم يكن ثوبها النصفي ولا ثوب أختها يحملان إلا صفين من الطراز فأما الصف الأعلى فكان يرسم كلاباً ومهاً ، وأما الصف

الأسفل فكان يرسم كلاباً وحجلا. أما فيدر(٣٧) فكان واضحاً أنها أصغر من أختها سنًّا، وقد جلست عن يسار أمها باسيفاييه ورسم الصف الأعلى من طراز ثوبها أطفالا يعدون وراء الأطواق، كما رسم الصف الأسفل أطفالا صغاراً قد انحنوا يلعبون بالحصباء. وكانت تنعم بمنظر اللعب فى طفولة ظاهرة. وكنت أنا لا أتبع اللعب إلا قليلا، قد أخرجنى عن طورى كل هذه الأشياء التى لا عهد لى بمثلها. ولكنى كنت شديد الدهش بما كنت أرى من مرونة اللاعبين ورشاقتهم وسرعتهم حين كانوا يغامرون بالظهور على الميدان بعد أن تتركه لهم جماعات الغناء والرقص والصراع. وإذ كنت أتهيأ لمواجهة المينوتور فقد كنت حريصا على أن أنتفع بما كنت أرى من مكرهم وتسللهم لعلى أستعين بشئ من ذلك على إجهاد الثور وإذها .

٤

ولما قدمت أريان الجائزة لآخر الفائزين نهض مينوس مؤذنا بانتهاء الحفل ، ودعانى وحيدا للقائه وقد وقف يحيط به الحرس .

فلما صرت بين يديه قال لى :

— سأقودك أيها الأمير ثيسيوس الآن إلى ساحل البحر وأمتحنك هناك لنتبين أنك فى الحق من ولد پوسيدون .

ثم قادنى إلى صخرة ترتفع متقدمة إلى البحر ويلطم الموج أسفلها . وقال لى :

— سألقى تاجى فى البحر لأبين لك أنى واثق بأنك ستردده إلىّ .

وكانت الملكة والأميرتان قد رغبتا فى شهود الامتحان ، فشجعنى ذلك واندفعت أقول معترضا :

— أكلب أنا لأرد شيئا إلى صاحبه ، وإن كان هذا الشيء تاجا ! دعنى أغص فى البحر لغير غاية ، ولك أن آتيك بما يدلك على أنى قد أحسنت الغوص .

ودفعت الجراءة إلى أبعد من هذا . فقد مرت نسمة قوية بعض الشيء ، فنزعت عن كتف الأميرة أريان طرحة وحملتها نحوى ، فلم ألبث أن التقفتها مبتسما كأن الأميرة أو إلها من الآلهة قد قدمها إلىّ . ثم خرجت من الصدارة التى كانت تشل حركتى وأحطت خصرى بهذه الطرحة ممرًا طرفها بين فخذى ، ثم آخذاً له إلى أمام حتى أثبته عند الخصر ، أخيّل بذلك أن الحياء هو الذى يدفعنى إلى هذا

الصنيع لأستر من جسمى مالا ينبغى أن يرى ، ولـكنى فى حقيقة الأمر إنما أردت أن أخفى منطقة من الجلد كنت قد استبقيتها ، وكنت قد علقت بهذه المنطقة كيسا صغيراً من الجلد . ولم أكن قد أحرزت فى هذا الـكيس شيئاً من النقد ، وإنما أحرزت فيه طائفة من الأحجار الـكريمة اصطحبتها من بلاد اليونان ثقة منى بأن الأحجار الـكريمة تحتفظ بقيمتها فى كل مكان .

ثم تنفست تنفسا عميقا ، واندفعت إلى البحر فغصت فيه . غصت فيه ممعنا فى الغوص وكنت فى ذلك ماهرا ، ثم لم أَطْفُ على سطح الماء إلا بعد أن استخرجت من الـكيس ثلاثة أحجار من نفيس الجوهر أحدها من عقيق الجزع والآخران من العقيق الأخضر ، فلما بلغت الساحل قدمت فى ظرف إلى الملـكة عقيق الجزع وإلى كل من الأميرتين حجراً آخر ، مظهراً أنى قـد استخرجتها من

القاع ، بل مظهراً أن بوسيذون قد قدمها إلىّ لأهديها إلى هؤلاء السيدات . ولم يكن بد من هذه الحيلة ؛ فلم يكن من السائغ أن توجد فى أعماق البحر عند جزيرة أقريطش هذه الأحجار النادرة فى بلادنا ، فضلا عن أن أجد الوقت لتخيرها تحت الماء . وكان هذا أدلّ من الامتحان نفسه على أنى من نسل إلـهىّ .

هنالك رد مينوس إلىّ سيفى .

ثم حملتنا العربات بعد قليل إلى كنوسوس .

٥

وكنت مجهوداً قد بلغ بى الإعياء أقصاه ، حتى لم أدهش لهذا الفناء العظيم المنبسط أمام القصر ولهذا السلم الضخم ذى العمد الدقاق ، ولهذه الدهاليز الملتوية التى كان يقودنى فيها خـدم خفاف يسعون بين يدىّ بالمشاعل حتى انتهوا بى إلى الغرفة التى هيئت لى فى الطابق الثانى والتى كانت تضيئها جماعة من المصابيح . فلم أكد أدخلها حتى أطفئت كلها إلا واحداً . وعلى مضجع وثير عطر غرقت منذ تركونى فى نوم عميق حتى كان المساء من غد ،

ومع ذلك فقد نمت فى العربة نوما طويلا ، فلم نصل إلى كنوسوس إلا حين أسفر الصبح ، وبعد سفر أنفقنا فيه الليل كله . ولست آلف الغربة ، فلم ألبث أن لاحظت فى قصر مينوس أنى يونانى وأحسست انى غريب . وكنت أدهش لكل ما ليس لى به عهد من الأزياء والعادات ، وما يتخذ الناس فى سيرتهم من الصور والحركات والأثاث (وكان الأثاث فى قصر أبى قليلا ضئيلا) كما كنت أدهش للأدوات وطرق استعمالها . كنت أرى نفسى متوحشاً بين هذا الترف الرقيق ، وكان خطئى يزداد كلما دعا إلى الابتسام ، وقد كنت متعوداً أن أتناول الطعام بغير أداة ، أحمله إلى فمى بأصابعى ، وكنت أجد هذه الشوك المعدنية أو الذهبية المنقوشة وهذه السكاكين أثقل تصريفاً علىّ حين أجلس إلى المائدة من السلاح حين كنت أصرّفه فى الميدان . وكانت النظرات توجه إلى وتثبت فىّ ، وكنت أمعن فى

الخطأ حين كنت أشارك فى الحديث . يا للآلهة ! لقد كنت أجد نفسى فى غير موضعى . وأنا الذى لم يحسن قط شيئاً إلا أثناء الوحدة ، أصبحت أرانى أشارك فى حياة اجتماعية . ولم يكن المهم أن أجاهد وأن أتخذ القوة وسيلة إلى الفوز ، وإنما كان المهم أن أعجب ، وكنت قليل العلم بوسائل ذلك إلى حد بعيد .

وقد أجلست إلى مائدة العشاء بين الأميرتين ، وكان العشاء فيما قيل بسيطا ، عشاء أسرة لا تكلف فيه . والواقع أن أحداً لم يشهده إلا الملك والملكة ، ورادامانت أخو الملك والأميرتان وأخوهما الصبى جلوكوس (٤٨) ومربيه اليونانى الكورنثى الذى لم يُعنَ أحد بتقديمه إلىّ .

وقد دعيت إلى أن أقص فى لغتى (التى كان أهل القصر يفهمونها ويتكلمونها على أحسن وجه مع شىء قليل من

انحراف اللسان) ما كان يسمى حسن بلائى . وقد سرنى أن رأيت الأميرة الفتاة فيدر وأخاها جلوكوس يضحكان حين كنت أقص تمثيل بروكروست بضحاياه وإخضاعى إياه لنفس المثلة حين كنت أقطع من أطرافه ما كان يتجاوز مضجعه . ولكنهم تجنبوا من شىء من الرقة أن يشيروا إلى المهمة التى جاءت بى إلى أقريطش ، ولم ينظروا إلىّ إلا على أنى مسافر ضيف .

ولم تنقطع أريان طوال العشاء عن مداعبة ركبتى بركبتها تحت غطاء المائدة ، ولكن الحرارة التى كانت تنبعث من فيدر الفتاة هى التى كانت تشيع فىّ القلق ، على حين كانت باسيفاييه الملكة جالسة أمامى تزدردنى بلحظها ازدراداً ، وكان مينوس إلى جانبها يحتفظ على ثغره بابتسامة صافية لا تعرف الكدر . أما رادامانت ذو اللحية الطويلة الشقراء ، فقد كان وحده يظهر شيئاً

من العبوس . وقد انصرف الملك وأخوه عن غرفة المائدة بعد الصنف الرابع لأنهما كانا مضطرين فيما كانا يقولان إلى الجلوس للقضاء . ولم أفهم إلا أخيراً معنى ما كانا يريدان .

لم أكن قد برئت بعدُ من ألم البحر ، وقد أكلت كثيراً وشربت أكثر مما أكلت ألواناً مختلفة من الخمر وفنوناً أخرى من الأشربة ، بحيث لم يمض إلا وقت قصير حتى دارت بى الأرض وأنكرت نفسى ؛ فلم أتعود من قبل أن أشرب غير الماء أو النبيذ المقتول . ولما كدت أفقد الصواب وكنت محتفظاً بفضل من قوة يمكننى من النهوض ، استأذنت فى الخروج . هنالك قادتنى الملكة إلى حمام صغير متصل بمنزلها من القصر . فلما تخففت مما كان يثقلنى بقيء غزير لحقت بها فى غرفتها فأجلستنى إلى جانبها على فراش وثير وأخذت تتحدث إلىّ . قالت :

— أى صديقى الشاب . . . أتأذن فى أن أدعوك

بهذا الدعاء لننتفع مسرعين بهذه اللحظة القصيرة التي يخلو فيها كلانا إلى صاحبه! لست كما تظن ولست أريد شخصك بريبة على ما أتيح لك من جمال وفتنة.

وعلى إلحاحها فى أنها لم تكن تتجه إلا إلى نفسى أو إلى شىء لا أعرفه فى أعماق ضميرى، لم تر بأساً بأن ترفع يدها إلى جبهتى. ثم تدسّها من دون صدارتى الجلدية متحسسة عضلات صدرى كأنها تريد أن تتثبت من محضرى. قالت:

— لست أجهل ما جاء بك إلى هذه الجزيرة، واريد أن أتقى خطأ. فقد أقبلت مزمعاً القتل. أقبلت تريد أن تصارع ابنى. ولست أعلم بماذا حدثت من أمره، وليس يعنينى أن أعلم. آه لا تصم أذنيك عما يوجه إليك قلبى من دعاء. ليكن المينوتور هو الوحش الذى صُوّر لك أو لا يكن، فإنه ابنى.

وهنا رأيت من حسن الذوق أن أقول إنى أحب الوحوش ! ولـكنها مضت فى حديثها دون أن تسمع لى :

— افهم عنى ! إنى أضرع إليك ! إن لى طبيعة متصوفة تحب بل لا تحب إلا ما يتصل بالآلهة . والشىء الذى يغيظ هو أننا لا نعلم أين يبتـدىء الإلـٰه ولا أين ينتهى . وقد أطلت عشرة قريبتى ليدا [٤٩] ومن أجلها اتخذ الإلـٰه صورة بجعة . وقد فهم مينوس طمعى فى أن ألد له وارثاً من أبناء الآلهة . ولـكن كيف السبيل الى أن نميز ما يبقى من الحيوان فيما يلقى الآلهة أنفسهم فى الأرحام ؟ وإذا كان قد كتب علىّ أن أندم على خطئى — وأنا أشعر بأن تحدثى إليك على هذا النحو يسلب الأمر كل عظمته — فإنى أؤكد لك أى ثيسيوس أن الأمر كان إلـٰهيـًا حقـًا فى اللحظة نفسها . فقد ينبغى أن تعلم أن ثورى لم يكن حيواناً عاديا . كان پوسيدون قد

قدمه إلينا . كان يجب أن نرده إليه قرباناً ، ولـكن مينوس رآه أجمـل وأروع من أن يضحى به . وهذا هو الذى حملنى فيما بعـد على أن أفسر زلتى بأنها كانت انتقاماً من الإلـه . وأنت لاتجهل أن حماتى أوروپ [٥٠] قد اختطفها ثور تقمصه ذوس . ومن زواجها بهذا الثور ولد مينوس نفسه . وهذا هو الذى حمل أسرته على أن تعظم أمر الثيرة . فلما ولد المينوتور ورأيت الملك يقطب حاجبيه لم يكن لى إلا أن أقول له : وأمك ما خطبها ؟ وكان من الحق عليه أن يفهم أن من الممكن أن أكون قد أخطأت وهو رجل حكيم ، وهو يعتقد أن ذوس قد ولاه مع أخيه راداما نت القضاء فى دار الموتى . وهو يرى أن من الحق أن يفهم الإنسان قبل أن يقضى ويقدر أنه لن يكون قاضيا عدلا إلا بعد أن يمتحن فى نفسه أو فى أسرته بكل ألوان المحن . وفى هذا تشجيع عظيم لذوى قرابته ،

فأبناؤه وأنا ، على ما يكون بيننا من اختلاف الأمزجة والأهواء ، نعمل بأغلاطنا الخاصة لنحسن إعداده لمنصبه المنتظر . والمينوتور نفسه يشارك فى ذلك عن غير علم . ومن أجل ذلك أطلب إليك ياثيسيوس ، بل أتوسل إليك لا فى ألا تسوءه بل فى أن تصالحه وتتفق معه على نحو يمحو الخصومة بين اليونان وأقريطش ، ويزيل آثارها المنكرة فى البلدين .

كذلك كانت تتحدث معملة يدها فى إلحاح من دون صدارتى حتى ضقت بذلك أشد الضيق ؛ فقد كنت متأثراً ببخار النبيذ وبهذا العطر الأرج الذى كان ينفلت مع ثدييها من قرطقها المفتوح . قالت :

— لنعد إلى الأمر الإلهى ؛ فقد يجب دائماً أن نعود إليه . وكيف لا تشعر يا ثيسيوس بأن إلهاً قد تقمصك ؟ . . .

وكان مما يزيد نفسى ضيقا أن أريان ذات الجمال الرائع الفاتن — وإن كنت أوثر أختها الصغرى — كانت قد واعدتنى باللحظ واللفظ على أن نلتقى فى الحديقة بعد أن أفيق .

٦

أي حديقة ! ولأي قصر ! يا لها جنة مشوقة قد تعلقت بانتظار شيء لا أدرى ما هو . . . تحت ضوء القمر . كان ذلك فى شهر مارس ، وكان الربيع قد أخذ يخفق فى دفء حلو . ولم أكد ألقى الهواء الطلق حتى انجلى عنى كل ضيق . فلست آلف الحياة فى أعماق الدور ، وإنما أوثر أن أتنفس ملء رئتىّ . وقد أسرعت إلىّ أريان ثم ألصقت فى لهفة وعنف شفتيها إلى شفتى حتى كدنا نسقط جميعا . قالت :

— هلم . لا علىّ أن يرانا الراءون . ولكن ظل الضرم أوفق للحديث .

ثم هبطت بي درجات وقادتني إلى مكان من الحديقة يشتد فيه التفاف الشجر حتى يخفي القمر دون أن يخفي انعكاس ضوئه على البحر ، وكانت قد استبدلت من ثوبها النصفي ذي الأطواق ومن منطقتها الصلبة ثوباً واسعاً فضفاضاً كانت تُحس من دونه عارية . قالت :

— أكاد أعرف ما تحدثت إليك به أمي . إنها مجنونة . مجنونة تستحق القيد ، وما ينبغي أن تحفل بما تقول . فاعلم أولا أنك معرض هنا لخطر عظيم . فأنا أعلم أنك أقبلت لتصارع الميلنتور أخي لأمي ، وإنما أريد منفعتك ، فأحسن الإصغاء إليّ . وأنا واثقة بأنك ستظهر عليه ،

فرآك يثبت أن فو زك واقع لا شك فيه

ألست ترى أن هذه الجملة تزن بيتاً جميلا من

الشعر ؟ الست رقيق الحس ؟ ولكن أحداً قبلك لم يستطع الخروج من اللابيرنت[٥١] داره التي يسكنها ولن تستطيع أنت أن تخرج من هذه الدار إلا أن أعينك أنا ، أنا خليلتك ، أنا التي ستصبح خليلتك . ليس من اليسير أن ترسم لنفسك صورة مقاربة للأبيرنت . سأقدمك إذا كان الغد إلى ديدال وسيصفهالك . فهو الذي بناها وهو نفسه لا يستطيع الآن أن يهتدي فيها إلى طريقه . وسينبئك كيف ضل فيها ابنه إيكار[٥٢] حتى لم يستطع أن ينجو منها إلا طائرا في الهواء بجناحين . ولكني لا أجرؤ على أن أشير عليك بالطيران فإنه مغامرة خطرة . والشيء الذي يجب أن تفهمه منذ الآن هو أن أملك الوحيد في النجاة رهين بألاّ تتركني . لقد توثقت بينك وبيني منذ الآن صلة لا تنفصم ولا ينبغي أن تنفصم بحياة أو موت . لن تجد نفسك إلا بمعونتي إلا بي ،

إلا فىّ . هذا شئ يجب أن تأخذه أو تدعه ليس لك من دون ذلك خيار ، فإذا تركتنى فالويل لك . وإذن فهيت لك .

ثم أقبلت علىّ غير حافلة بشىء واستسلمت لى محتفظة بى بين ذراعيها حتى أسفر الصبح .

ويجب أن أعترف بأن وقت هذا اللهو قد طال علىّ ، فلم أحب قط الإقامة حتى فى ظلال النعيم ، وإنما أنا مشغوف بالتنقل متى ذهبت عنى جدة ما ألقى من الأمر . ثم جعلت تقول : « لقد وعدتنى » . ولم أكن قد وعدت بشىء ، وإنما كنت حريصا على أن أستبقى حريتى فلست مدينا بنفسى إلا لنفسى .

ومع أن قوتى على الملاحظة كانت لا تزال مغشاة ببخار السكر ، فقدخيل إلىّ أنها استسلمت فى يسر حتى لم أعتقد أنى كنت السابق إلى رضاها . وهذه الملاحظة هى

التي طوّعت لى فيما بعد أن أتخلص من أريان . وفوق ذلك فما أسرع ما ضقت بإسرافها فى تكلف الرقة ! ضقت بإلحاحها فى تأكيد حبها الأبدى ، وبهذه الأسماء الحلوة التى كانت تدعونى بها . فقد كنت مرة متاعها الوحيد ، ومرة كنـارها ، ومرة كلبها ومرة صُقَيْرها ومرة قصيصتها ولست أبغض شيئاً كما أبغض هذه الألفاظ المصغّرة . ثم إنها كانت مشغوفة بالأدب . فقد كانت تقول لى : « أى قلبى الصغير ، سيذبل زهر السوسن عما قريب . » على حين أن هذا الزهر كان قد بدأ يتفتح . وأنا أعلم أن كل شىء يمضى ، ولـكنى لا أحفل إلا بالساعة الحاضرة . وكانت تقول لى أيضا : « لن أستطيع أن أعيش بدونك . » وكان هذا يدفعنى على ألا أفكر إلا فى أن أعيش بدونها . وقد سألتها :

— ما عسى أن يقول أبوك الملك إن عرف هذا ؟

فأجابت :

— تعلم أيها الحبيب أن مينوس يحتمل كل شيء ، فهو يرى أن أحكم الحكمة أن يقبل الإنسان ما لا يستطيع له ردا . لم ينكر شيئاً حين عرف مغامرة أمي مع الثور ، وإنما زعم — كما حدثتني أمي — أنه لا يستطيع أن يمضي في محاورتها . ثم أضاف : « قد كان ما كان ، وليس إلى استدراكه من سبيل . » وسيقول هذا القول نفسه بالقياس إلينا . وأقصى ما في الأمر أن يطردك من قصره . وأي بأس بهذا سأتبعك حيثما تكون .

وكنت أقول في نفسي : سنرى !

وبعد أن أخذنا بحظنا من طعام يسير ، سألتها أن تصحبني إلى ديدال ، وأنبأتها بأني أريد أن أخلو إليه وأدير معه الحديث ؛ ولم تتركني إلا بعد أن أقسمت لها باسم پوسيدون على أني سألقاها في القصر بعد قليل .

٧

لقد نهض ديدال لاستقبالى حين فاجأته فى حجرته المظلمة مقبلا على لوَيْحات من الرصاص أمامه قد انتثرت من حولها أدوات غريبة . وهو رجل طُوَال ، لم تنحن قامته على تقدم سنه ، وهو يحمل لحية أطول من لحية مينوس وكانت سوداء ، على حين كانت لحية رادامونت شقراء ، أما لحية ديدال فكانت مفضضة . وجبهته العريضة تشقها أخاديد أفقية ، وحاجباه المختلطان يكادان يحجبان نظراته حين يخفض رأسه . وهو طويل الحديث عميق الصوت . ويفهم محدثه أنه حين يصمت ، فإنما يفعل ذلك ليفكر .

وقد بدا فأثنى على حسن بلائى الذى وصلت أخباره إليه ، فيما قال ، على اعتزاله وانقطاعه عن الناس . وأضاف إلى ذلك أنى أبدو له أبله بعض الشيء ، وأنه لا يقدر حسن اصطناع السلاح ولا يرى أن قيمة الإنسان فى قوة ذراعيه . قال :

— وقد رأيت قديماً سلفك هيرقل ، وكان أبله لا يستطيع أن يعطى شيئاً غير البطولة . وإنما أحببت منه ما أحب منك هذا الإقدام على غاية فى غير تردد ولا تراجع ، بل هذا التهور الذى يدفعكما إلى أمام ويظهركما على العدو بعد أن ينصركما على ما فى نفوسنا جميعاً من الجبن . وكان هيرقل أشد منك مثابرة وأحرص منك على الإتقان ، حزينا بعض الشيء ، ولا سيما بعد أن يتم عمله . أما ما أحب منك فهو هذا الابتهاج الذى يميزك من هيرقل . ويعجبنى منك أنك لا تريد أن تعوق نفسك

بالتفكير ؛ فالتفكير حظ قوم آخرين لايعملون ولكنهم ينشئون للعاملين ما يدفعهم إلى العمل .

أتعلم أن بيننا نسبا ، وأنى — لا تُعِدْ ذلك على مينوس ؛ فهو لايعرف من ذلك شيئاً — أنى يونانى ؟ وقد أسفت حين اضطررت إلى ترك أتيكا فى أثر خصومة شجرت بينى وبين ابن أخى تالوس (٥٣) وكان مثّالا مثلى منافسا لى ، وكان قد ظفر بإيثار الشعب لأنه كان يحتفظ للآلهة بشىء من المهابة الرهيبة ، يتوسل إلى ذلك بإمساك تماثيلهم بمناطق ضيقة تأخذ أجسامهم من أسفلها فتمنعهم من الحركة على حين كنت أنا أطلق أعضاءهم فأقربهم منا ، حتى تجدد بفضلى ذلك التجاور بين الأولمب والأرض ، وكنت من جهة أخرى أحاول أن أتخذ العلم وسيلة إلى أن يصبح الناس أشباها للآلهة .

فقد كنت فى سنك ، حريصاً قبل كل شىء على أن

أتعلم ، وما أسرع ما استيقنت بأن قوة الإنسان لا تغنى أو لا تكاد تغنى عنه شيئاً إلا إذا أعانتها الآلهة ، وأن المثل الذى يقول : « إن الأداة أجدى من القوة » لم يكن مخطئاً . وما كنت لتقهر قطاع الطرق فى البلوبونيز أو فى أتيكا لو لم تعنك على ذلك الأسلحة التى وعدك بها أبوك . وكذلك فكرت فى أنى لن أغنى شيئاً إذا لم أجد ما أصطنع من أداة ، وأن سبيل ذلك هو أن أتقن الحساب والميكانيكا والهندسة ، كما يتقنها المصريون على الأقل ، فهم ينتفعون بها انتفاعاً عظيما ، ثم فكرت فى أنى لن أنتفع بهذه العلوم فى الحياة التطبيقية إلا إذا تعرفت خصائص الأجسام ومميزاتها ، حتى الأجسام التى لا يظهر أننا فى حاجة عاجلة إلى استخدامها . فقد يستكشف فى هذه الأجسام كثير من المزايا لم نكن نتوهمها من قبل ، شأنها فى ذلك شأن الناس أنفسهم .

وكذلك أخذ حظى من المعرفة يتسع ويقوى .

ثم أردت أن أعرف مهناً وصناعات وأقاليم ونباتات أخرى ، فزرت بلاداً بعيدة تلمذت فيها لعلماء أجانب ، لم أفارق أحداً منهم إلا بعد أن استقصيت ما كان عنده من العلم . ولكنى بقيت يونانياً حيثما ذهبت وحيثما أقمت ، ومن هنا عنيت بك أيها النسيب لأنك يونانى .

فلما رجعت إلى أقريطش تحدثت إلى مينوس عن أسفارى ودراساتى ، ثم أفضيت إليه بشىء كنت أزمعته وسألته أن يعينني على تحقيقه ، فيقدم إلىّ ما يحتاج إليه من مال وأداة ، وهو أن أبنى وأنظم إلى جانب قصره داراً تشبه اللابيرنت الذى رأيته وأعجبت به فى مصر على شاطئ بحيرة موريس [44] على اختلاف فى الرسم . فى ذلك الوقت كان مينوس محرجاً فقد ولدت له الملكة هذا الوحش الذى يسمى المينوتور ، وكان الملك يود لو

استطاع أن يخفى هذا الكائن الغريب على أعين الناس . فتقدم إلىَّ فى أن أقيم له بناء تحيط به حدائق غير مسورة ، ولكنه مع ذلك يمسك المينوتور فى غير سجن دون أن يستطيع الخروج منه ، فأنفقت فى ذلك ما كنت أملك من عناية ودراية .

وقد قدرت أن ليس هناك سجن يستطيع أن يمتنع على رغبة السجين فى الفرار ، وأن ليس هناك أسوار ولا خنادق تستعصى على الجراءة والعزم ، فرأيت — وأرجو أن تحسن الفهم عنى — أن الخير أن أقيم البناء وأنظمه بحيث لا يكون معجزاً لساكنة عن الهرب بل مانعاً له من التفكير فى الهرب . فجمعت فى هذا البناء ما يستجيب لشهوات الإنسان على اختلافها . وليست شهوات المينوتور كثيرة ولا شديدة الاختلاف ، ولكن كان على أن أفكر فى الناس جميعاً وفى كل من يقضى عليه أن

يدخل اللابيرنت . وكان يجب أيضاً بل قبل كل شيء أن أضعف إرادتهم . ومن أجل ذلك ركبت ألواناً من العقاقير يمزج فيما يدار عليهم من نبيذ . ولكن هذا كله لم يكن كافياً ، فوجدت أكثر منه . وكنت قد لاحظت أن هناك ألواناً من النبات إذا ألقيت فى النار أثارت وهى تحترق دخاناً مخدراً بعض الشىء ، فرأيت أنها عظيمة النفع فيما كنت أحاول من الأمر ، وقد استجابت بالضبط لما دعوتها إليه ، فاتخذت مواقد لا تخمد نارها فى ليل أو نهار وغذوتها بهذه النباتات . والأبخرة التى تصّاعد منها لا تنيم الإرادة وحدها ، ولكنها تشيع سكراً خلاباً ، وتدفع إلى فنون من الخطأ المغرى ، وإلى ضروب من النشاط الفارغ تصدر عن رؤس قد شملها الذهول وعبث بها الشراب . ضروب من النشاط الفارغ ، لأنها لا تنتهى إلى شىء إلا أن يكون وهما ، ولا تثير إلا

مناظر لا تثبت ، لاتنتهى إلى غاية ولا تعتمد على منطق .
وتأثير هـذه الأبخرة ليس متفقاً بالقياس إلى الذين
يخضعون له جميعاً ، وإنما هو يختلف باختلافها وينشأ عنه
اختلاط غريب يجعل لـكل واحد لابيرنته الخاص . وقد
كان اختلاط ابنى إيكار فلسفياً يرقى إلى ما بعد الطبيعة .
اما أنا فأرى أبنيـة ضخمة وجمعاً من القصور المتراكمة
تختلط فيها السلالم والدهاليز . . . بحيث انتهى هذا كله فى
تخليط ابنى إلى مأزق تتبعه خطوة غامضـة إلى أمام .
ولـكن أشد من هـذا كله غرابة أن هذه العطور إذا
استنشقها الإنسان حيناً لم يستطع أن يستغنى عنها ؛ لأن
الجسم والعقل قد اتخذ منها متاعاً لاقيمة بإزائه للحياة
الواقعة ولا رغبة فى العودة إليهـا ، وإنما هو البقاء
والبقاء المتصل فى اللابيرنت ، ولمـا كنت أعلم أنك تريد
أن تنفذ إليه لتصارع فيه المينوتور فقد أردت أن أظهرك

على جلية الأمر . وما أطلت عليك الحديث إلا لأحذّرك ؛ فلن تستطيع أن تخرج منه وحدك بل يجب أن تصحبك أريان . ولكنها يجب أن تبقى على عتبة الدار بحيث لا تشم هذا الأريج . فيجب أن تحتفظ بعقلها وصوابها فى الوقت الذى تخضع أنت فيه للسكر . ولكن اجتهد فى أن تملك أمرك حتى حين يأخذك السكر ، هذا هو المهم . وقد لا تعينك إرادتك على ذلك ، فقد قلت : إن هذا الدخان يضعفها ، فقد خطر لى أن أجمع بينك وبين أريان بخيط يمثل الواجب تمثيلا مُحَسًّا . هذا الخيط يمكنك بل يضطرك إلى أن تعود إليها بعد أن تكون قد بعدت عنها . واحرص على كل حال على ألا تقطعه مهما يحط بك من الظروف ، ومهما تلح عليك المغريات ، ومهما تدفعك إليه شجاعتك من مغامرة . عد إليها وإلا ذهب عنك كل شىء ، بل ذهب عنك الخير كله . سيكون هذا

الخيط وصل ما بينك وبين الماضى . فعد إليه ، عد إلى نفسك . فلا شىء ينشأ من لا شىء ، ولن يعتمد مستقبل أمرك إلا على ماضيك الذى كنت فيه وحاضرك الذى أنت عليه .

وقد كنت خليقاً أن أحدثك أقل مما حدثتك لو أنى عُنيت بك أقل مما اعنى بك فى حقيقة الأمر . ولكنى أريد قبل أن تستقبل مصيرك أن تسمع لحديث ابنى فستحقق حين تسمعه مقدار الخطر الذى أنت مقدم عليه وإن كان هو قد استطاع بفضلى أن يفلت من فتنة اللابيرنت ولكن عقله على ذلك قد ظل خاضعاً لسحر هذه الفتنة .

ثم اتجه إلى باب منخفض وأزاح ما كان يغطيه من أستار وقال فى صوت رفيع :

— أى إيكار ، أى بُنَىّ العزيز ، أقبل واعرض

علينا ما يساورك من القلق ، بل امض كما تفعل فى أثناء وحدتك فى حديثك إلى نفسك دون أن تحفل بى ولا بضيفى . هبنا غير حاضرين .

٨

رأيت فتى يقبل وهو يوشك أن يكون فى سنى وقد ظهر فى هذا الضوء الضئيل رائع الجمال . وكان شعره الأشقر الطويل يتدلى خصلا على كتفيه . وكان لحظه الثابت يظهر كأنه لا يقف عند الأشياء . وكان عاريا إلى موضع النطاق قد شد حول خصره منطقـة ضيقة من المعدن . وقد ظهر لى أن إزاراً واسعا من نسيج أسود ومن جلد يأخذ من أعلى وركيه وقد جمع طرفاه بعقدة ضخمة . وقد وقفت عيناى على حذاءين من جلد أبيض كانا يشيران إلى أنه يتـأهب للخروج ، ولـكن عقله

وحده كان يسعى ، ولم يكن يظهر عليه أنه يرانا . وكان يقول ماضياً فيما كان يدير عقله من حديث :

— أيهما بدء الوجود : الرجل أم المرأة ؟ أيمكن أن يكون الخالد مؤنثا ؟ أيتها الصور الكثيرة أى أم هائلة أخرجتك من أحشائها ؟ وأى مبدأ والد ألقاك فى هذه الأحشاء ؟ يا لها تثنية غير معقولة ، وإذن فالإله هو الطفل . إن عقلى يرفض أن ينقسم الإله . فإن قبول الانقسام معناه الصراع . كل ما للإله فهو للحرب . ليست هناك آلهة وإنما هو إله واحد . إن تسلط الإله هو السلام ، كل شىء يأوى ويأتلف فى الإله الواحد .

ثم سكت حيناً واستأنف قائلا :

— لأجل أن نحقق الإله يجب على الإنسان أن ينحاز وأن يضيق ؛ فليس الإله إلا متفرقا . إن الآلهة

منقسمون . الإله الواحد لا حد له . الآلهة الكثيرون محليون .

ثم عاد إلى الصمت واستأنف الحديث في صوت قلق ولكن متقطع .

— ولكن ماسر هذا كله أيها الإله الواضح؟ ماأصل هذا العناء ؟ ما أصل هذا الجهد ؟ ونحو ماذا ؟ ما علة الوجود ؟ وما علة البحث عن علة لكل شيء ؟ كيف نتجه ؟ وأين نقف ؟ متى نستطيع أن نقول لقد انتهى كل شيء آمين ! كيف الوصول إلى الإله حين نبدأ من الإنسان ؟ وإذا بدأت من الإله فكيف أصل إلى نفسي ؟ ولكن أليس من الممكن أن يكون الإله من صنع الناس كما أن الناس من صنع الإله ؟ في مفترق الطريق هذا ، في قاب هذا الصليب يريد عقلي أن يثبت .

وكان وهو يتحدث على هذا النحو يتصبب عرقا وتظهر عروق جبهتـه منتفخـة ، أو ظهر لى ذلك على الأقل ، فلم أكن أستطيع أن أتبينه فى الضوء الضئيل ، ولـكنى كنت أسمعه يلهث كمن بذل جهـداً عظيما .

ثم سكت لحظة وأستأنف قائلا :

— لست أدرى أين يبدأ الإلـه وأنا أقل علما بأين ينتهى ! بل لعلى أحسن التعبير عما فى نفسى إن قلت إن بداءته لاتنتهى . آه ! لقد سكرت بإذَنْ وبلش وبما دام ! وبهذا التخليط والاستنتاج . لن أصل إلى قياس أجمل من الذى وصلت إليه أول الأمر . فإذا كنت قد وضعت فيه الإلـه فإنى واجده . ولا أجده إلا إن وضعته . لقد جبت طرق المنطق كلها فى اتجاهها الأفقى حتى تعبت من الأسفار . إنى لأزحف ، إنى لأريد أن أصعد ، أن أخلص من ظلى ، من مادتى القذرة ، أن أتخفف من ثقل

ماضيّ ، إن أفق السماء ليدعونى . يا للشعر ! يخيل إلىّ أن نفسا علوياً يجذبنى . أى عقل الإنسان : لأصعدن إلى حيث تستطيع أن ترقى . إن أبى الخبير فى الرياضة سيهيئ لى الوسيلة إلى ذلك . سأذهب وحدى . أن لى من الجراءة ما يمكننى من هذا . سأؤدى الثمن . لا سبيل إلى الخروج من هذا . أيها العقل الرائع الذى طال تخبطه فى المشكلات ستندفع فى طريق غير معبدة . لست أدرى ما هذا السحر الذى يدعونى ، ولكنى أعلم أن ليست هناك إلا غاية واحدة هى الإله .

ثم تركنا راجعا أدراجه حتى بلغ الأستار فأزالها واستخفى من دونها وردها كما كانت . قال ديدال :

— ياله من طفل بائس عزيز ! لم يكن يدرى كيف يفلت من اللابيرنت ؛ لأنه لم يكن يعلم أن اللابيرنت إنما هو فى نفسه، فصنعت له مستجيبا لدعائه جناحين

يتيحان له أن يطير . كان يرى أن لا طريق له إلا السماء بعد أن أخذت عليه طرق الأرض . وكنت أعرف فيه نزعة صوفية ، فلم تدهشنى رغبته . رغبته لم تبلغ غايتها كما رأيت ؛ فعلى رغم تحذيرى أراد أن يصعد أكثر مما ينبغى ! أسرف فى تقدير قوته فهوى إلى البحر . وفيه لقى الموت . صحت دهشا :

— كيف يكون ذلك ؟ لقد رأيته الآن حيا !

أجاب :

— نعم ! لقد رأيته الآن وخيل إليك أنه حى ولكنه قد مات . وهنا أخشى يا ثيسيوس ألا يستطيع عقلك ، على أنه يونانى دقيق متقبل للحقائق كلها ، ألا يتبعنى ؛ فأنا نفسى قد احتجت إلى وقت طويل لأفهم ما يأتى وأطمئن إليه . كل واحد منا لا يحيا حياته الخاصة المقسومة له إذا تبين أن ميزانه ثقيل حين توزن النفوس . فهو فى

حياته الإنسانية ينمو ويتم ما كتب له ثم يموت . ولكن الزمن نفسه لا يوجد بالقياس إلى حياة أخرى ، وهى الحياة الصحيحة الخالدة التى ترتسم فيها كل حركة بمعناها الدقيق الذى تدل عليه . فقد كان إيكار قبل أن يولد ، وهو الآن بعد أن مات ، صورة القلق الإنسانى والبحث والطموح والشعر ، وهو قد تقمص هذا كله أثناء حياته القصيرة . أدى مهمته كما كان ينبغى أن يؤديها ، ولكن أمره لا يقف عنده وحده ، كذلك شأن الأبطال جميعاً ؛ فإن أعمالهم تبقى ثم يتناولها الشعر والفن فتصبح رموزاً خالدة . ومن هنا ظل أوريون [٥٥] الصائد يتتبع فى حقول البرواق فى دار الموتى تلك الوحوش التى قتلها فى حياته على حين صارت صورته نجماً فى السماء . ومن هنا ظل تنتال [٥٦] ظمئاً إلى آخر الدهر ؛ وظل سيزيف [٥٧] يرفع نحو القمة التى لا تُنال ، صخرته الثقيلة التى

لا تكاد تبلغ القمة حتى تهوى ، تصور بذلك ذلك الهم الملح الذى لزم سيزيف حين كان ملكا لكورنت . فقد ينبغى أن تعلم أن ليس فى دار الموتى عقوبة إلا استئناف الأعمال التى لم تتم .

الأمر فى ذلك كالأمر فى أنواع الحيوان كلها ، تموت الأشخاص دون أن يؤثر موتها فى بقاء النوع ونموه ؛ فليس بين الحيوان شخص ، على حين أن الفرد وحده هو صاحب الخطر فى النوع الإنسانى . ومن هنا تستطيع أن تقول إن مينوس يحيا الآن فى مدينته كنوسوس حياة هى مقدمة لحياته القضائية فى الدار الآخرة ، كما أن پاسيفاييه وأريان تستجيبان لما كتب عليهما القضاء . وأنت نفسك يا ثيسيوس على ما يظهر وما تعتقد من استخفافك بكل شىء ، لن تفلت كما لم يفلت هيرقل وجازون [٥٨] وبرسيه [٥٩] من هذا القضاء الذى فرض على

كل واحد منكم نفسه ، ورسم له طريقه . ويجب أن تعلم — فقد أتيح لى أن أستنبط المستقبل من الحاضر — أن أمامك أعمالا جليلة يجب أن تتمها ، وهى من نوع آخر يخالف ما قدمت من عمل فيما مضى . أعمال ستصغر أمامها ما ٓثرك التى أتممتها إلى الآن . عليك أن تنشئ أثينا وأن تقيم فيها سلطان العقل .

فلا تضيِّع وقتك فى اللابيرنت ولا تضيِّعه بين ذراعى أريان حين تخرج من اللابيرنت ظافراً . امض لطيتك وانظر الى الكسل على أنه خيانة ، وخذ نفسك بألا تلتمس الراحة إلا حين تتم ما كتب عليك وحين تأوى إلى الموت . وكذلك تستطيع بعد هذا الموت الظاهر أن تستأنف حياة متصلة متجددة فيما يدين الناس لك به من جميل . امض لطيتك ، امض أمامك . امض فى طريقك أيها الفتى الشجاع مجمع المدن .

واسمع لى الآن يا ثيسيوس واحفظ ما أقول لك . ستنتصر على المينوتور فى أكبر الظن دون كثير عناء ؛ فليس هو من البأس بحيث يقال . لقد قيل إنه يعيش على لحم الإنسان ، ولكن متى رأيت الثيرة تعيش على شيء آخر غير ما تنبت المروج ؟ إن دخول اللابيرنت يسير ، ولكن ليس أشد عسراً من الخروج منه . لا سبيل إلى أن يجد الإنسان نفسه فيه إلا بعد أن يضل أول الأمر . ولن تستطيع أن ترجع أدراجك فليس للخطو فيه أثر ، فيجب إذن أن تصل نفسك بأريان ، بهذا الخيط الذى أعددت لك منه قدراً حسناً ، فخذه معك وأرسله كلما تقدمت وكلما انتهت خصلة منه فصلها بخصلة أخرى بحيث لا ينقطع ، فاذا أردت الرجوع فأدر هذا الخيط قليلاً قليلاً حتى تبلغ أوله الذى أمسكت به أريان . لست أدرى لماذا ألح إلى هذا الحد ، فكل هذا يسير جداً ، إنما

العسير ان تحتفظ إلى آخر خيط بالعزم الصادق على أن تعود . وسيصطلح الأرج وما يبعث فى نفسك من نسيان وحب الاستطلاع لها وأشياء أخرى كثيرة على إضعاف هذا العزم . لقد قلت لك هذا آنفا ، ولم يبق لدىّ شىء آخر . هاك الخيط . وداعاً .

تركت ديدال ولحقت بأريان .

٩

وهذا الخيط هو الذى أثار أول خصومة بين أريان وبينى ؛ فقد أرادت أن أدفعه إليها وأن تحتفظ به فى حجرها زاعمة أن من عمل النساء جمع الخيط وتفريقه ، وأنها فى ذلك ماهرة صَنَاع ، ولكنها فى حقيقة الأمر كانت تريد أن تسيطر على مصيرى ، وهذا هو الشىء الذى لم أكن أرضاه مهما تكن الظروف . وكنت أقدر أيضاً أنها ستحرص على استبقائى فلا ترسل الخيط إلا فى بطء ، وقد تشده إليها إن أرادت فتحول بينى وبين المضى إلى غايتى كما أريد . وقد أصررت على الامتناع رغم

سلاحها الأخير وهو الدموع ؛ لأنى كنت أعلم أن من شأن النساء إذا نزلت لهن عن أيسر الأمر ألا يرضين إلا بأكثره . أسلم لهن الأصبع الصغرى فستتبعها اليد ثم الذراع ثم سائر الجسم .

ولم يكن هذا الخيط متخذاً من الكتان ولا من الصوف ، وإنما اتخذه ديدال من مادة صلبة لم يستطع سيفى حين جرّبته أن يصنع فيها شيئاً . وقد تركت سيفى عند أريان مصمما ، رغم ما بينه لى دايدال من أن الأداة تمنح الإنسان قوة إلى قوة ، على أن أصرع المينوتور بقوة ذراعىّ وحدها . فلما بلغت مدخل اللابيرانت وهو رواق تزينه الفأس المثناة وهى علامة شائعة فى الجزيرة ، ألحت على أريان فى أن تلزمه ولا تفارقه ، وقد حرصتْ على أن تدير الخيط حول معصمى بعقدة زعمت أنها عقدة الزواج ، ثم ألصقت شفتيها بشفتى وقتا

حسبته لن ينقضى . فقد كنت حريصا على أن أتقدم .

وكان رفاقى الثلاثة عشر من الفتيات والفتيان وفيهم پيريتوس قد سبقونى . وقد وجدتهم فى الحجرة الأولى وقد أذهلهم الأرج . وقد ا نسيت أن أقول إن ديدال قد أعطانى مع الخيط قطعة من النسيج قد غمسها فى مادة مضادة لهذا الطيب ، وألحّ علىّ فى أن أكم بها فمى دائماً ؛ وأن أريان كانت قد استأثرت بهذه القطعة أيضاً عند الرواق . وبفضل هذه الكمامة استطعت أن أحتفظ بصوابى وإرادتى ، ولكنى كنت أختنق شيئاً ، فقد تعودت ، كما قلت ، ألا أجد الحياة الكاملة إلا فى الهواء الطلق ، فكان هذا الهواء المغلق يضايقنى بعض الشىء .

وتقدمت مرسلا الخيط حتى بلغت الحجرة الثانية ، فإذا هى أشد إظلاماً ، ثم بلغت أخرى أشد إظلاماً ثم انتهيت إلى أخرى لم أكن أتقدم فيها إلا متحسساً ،

ولـكن يدى وهى تتبع الحائط لقيت مفتاح باب أدرته فانفتح لى على ضوء ساطع ، وإذا أنا أبلغ حديقة . وأرى أمامى على أرض مبسوطة قد نسقت فيها شقائق النعمان والخزامى والنسرين والقرنفل ، المينوتور مستلقياً مسترخياً . وكان نائماً من حسن حظى . وكنت خليقاً أن أتعجل وأن أستفيد من نومه ، ولـكن هذا النوم نفسه كان يقفنى ، وكان الوحش جميلا وكان أمره كأمر السنتور (٦٠) قد اجتمعت له والتأمت فيه ملامح من الإنسان والحيوان ، وكان شاباً ، وكان شبابه يضيف إلى جماله ظرفا لم أكن أحققه ، وكان هذا كله سلاحاً أقوى بالقياس إلىّ من القوة ، فلم يكن لى بد من ان أستحضر شجاعتى كلها . فلا سبيل إلى الجهاد المنتج إلا مع شىء من البغض . ولم أكن أستطيع أن أبغضه ، بل لبثت وقتاً أمعن النظر إليه ، ولـكنه فتح إحدى عينيه

فتبينت أنه أبله ، ورأيت أن قد آن الوقت للإقدام .

ولست أستطيع أن أذكر ما صنعت ولا ما كان على وجه التحقيق ؛ فقد كانت الكمامة تأخذ عليّ التنفس ، ولكنى مع ذلك لم أفات من تأثير الأرج حتى أصابنى من ذلك ضعف فى الذاكرة . فإذا كنت قد انتصرت على المينوتور فإنى لم أحتفظ من ذلك إلا بأثر مختلط لا يخلو من لذة . ولست أبيح لنفسى أن أخترع ولا أن أتكثر ، ولكنى أذكر كذلك أن جمال الحديقة كاد يلهينى عن نفسى ، ولم آخذ فى إدارة الخيط بعد أن انتصرت على المينوتور لأجد أصحابى فى الحجرة الأولى إلا أسفاً . وقد رأيتهم حول مائدة قد جمعت عليها ألوان من الطعام لا أدرى كيف جاءت ولا من جاء بها ، وهم يزدردون ويعبثون ويعبث بعضهم بأجسام بعض ويضحكون كأنهم المجانين أو البله . فلما هممت أن أخرجهم أبوا عليّ وأعلنوا إليّ أنهم راضون

حيث هم ، وأنهم لا يريدون خروجا . وقد ألححت عليهم وأنبأتهم أنى أحمل إليهم الخلاص وإذا هم يتصايحون : الخلاص من ماذا ! ثم أخذوا يسبوننى ، وقد أحزننى هذا كثيراً لمكان پيريتوس ، فقد كان يتميزنى فى مشقة ويعيب الشجاعة ويسخر من شجاعته هو ، ويعلن فى غير تحفظ أنه لن يفارق لذته الحاضرة فى سبيل المجد مهما يكن . ولم أكن أستطيع أن ألومه ؛ فقد كنت أعلم أنى لولا احتياط ديدال لتورّطت فى مثل ما تورّطوا فيه . ولم أستطع أن أخرجهم إلا حين اصطنعت معهم العنف ، وأعملت فيهم الوكز واللكز. وقد كانوا مثقلين بكثرة ما أكلوا وشربوا وسكروا ، فلم يستطيعوا أن يقاوموا .

فلما خرجوا من اللابيرنت احتاجوا إلى وقت أى وقت وجهد أى جهد ليستردوا صوابهم ويثوبوا إلى أنفسهم . على أنهم لم يفعلوا ذلك إلا محزونين . وقد حدثونى فيما بعد

أنهم كانوا يرون أنهم يهبطون من قمة عاليـة يشع عليها النعيم إلى قرارة وادٍ ضيق مظلم ضئيل ؛ لأن كل واحد منهم قد عاد إلى سجنه الخاص ، وهو شخصه المحدود الذى لا إفلات منه . ومع ذلك فقد جعل پيريثوس بعد قليل يحس الندم على هذه الصنعة العابرة التى تورط فيها ، ويؤكد أنه سيشترى نفسه أمام نفسه وأمامى بكثير من حسن البلاء . وما أسرع ما أتيحت له الفرصة ليثبت إخلاصه لى .

١٠

لم أكن أخفي عليه شيئاً ؛ فقد كان يعرف وجدي بأريان ووجدي عليها . بل لم أكن أخفي عليه أني كنت متيما بفيدر وإن لم تكن قد تجاوزت الصبا بعدُ . كانت في ذلك الوقت تكثر من اصطناع أرجوحة قد علقت إلى نخلتين ، وكنت إذا رأيتها تترجح على هذا النحو وتعبث الريح بثوبها أخذني شيء يشبه الدوار . ولكني كنت أدير رأسي مسرعا وأخفي ميلي متحفظا إذا ظهرت أريان أخشى أن تثور غيرة الأخت الكبرى . ومن الشر أن يقصر الإنسان في إرضاء ما يساور نفسه من رغبة ؛

ولـكن لم يكن بد من اصطناع الحيلة والمـكر لتحقيق ما كان يدور فى خلدى من خطف هـذه الصبية . هنالك ابتكر پيريتوس وسيلة إلى تحقيق مأربى ، دلت على ما كان يمتاز به من سعة الحيلة . وكانت إقامتنا فى الجزيرة تطول وإن لم أكن أفـكر كما لم تكن أريان تفكر إلا فى السفر ، ولـكن الشيء الذى كانت أريان تجهله هو أنى كنت مصمما على ألا أترك الجزيرة إلا ومعى فيـدر . وكان پيريتوس يعلم ذلك . وهاك الحيلة التى أعاننى بها :

كان أكثر حرية منى ؛ فقد كانت أريان تأخذ علىّ كل طريق ، وكان من أجل ذلك قد استطاع أن يدرس شؤون الجزيرة ويعرف من عاداتها ما كنت أجهل — قال لى ذات صباح :

— أظن أنى قد بلغت الغاية . تعلم أن هذين الحـكيمين مينوس ورادامونت قد نظما أخلاق الجزيرة وسـيرة

أهلها ، ونظما بنوع خاص شؤون هذا الحب البغيض الذى يعطف أهل الجزيرة على الغلمان كما ترى ذلك فى ثقافتهم ، إلى حد أن كل فتى قد بلغ الحلم ، ولم يكن له خليل من الذين يكبرونه فى السن يتعرض لكثير من الازدراء والضعة ؛ لأنه إن كان رائع الجمال فيجب أن يكون فيه عيب يتصل بعقله أو جسمه ويصرف عنه الخلان . وقد أفضى إلىّ جلوكوس أصغر أبناء مينوس والذى يشبه فيدر حتى كأنه ضريبها بما يثير ذلك فى نفسه من همّ . وقد حاولت أن أغريه بأن لقب الإمارة الذى يحمله قد أرهب الناس فلم يسم إليه منهم أحد ، فكان يجيبنى بأن هذا ممكن ، ولكنه محزن له ؛ ويجب أن يعلم الناس أن هذا يحزن مينوس نفسه ؛ لأن مينوس لا يحفل عادة بتفاوت الطبقات ولا باختلاف الدرجات ، ومع ذلك فقد يسرّه أن يرى أميراً ممتازاً مثلك يُعنى بابنه . وقد قدرت أن

أريان التي تغار من أختها أشد الغيرة لن تغار من أخيها .
فلم ير الناس امرأة تغار من غلام . وعلى كل حال فسترى
أن من غير اللائق أن تظهر شيئاً من الريبة ، فتستطيع أن
تقدم في غير خوف .

صحت به :

— وهل تظن أن الخوف يقضي عن شيء ، ولكني
وإن كنت يونانياً لا أسيغ مثل هذا الحب لغلام مهما
يكن حظه من الجمال والظرف ، أختلف في ذلك عن
هيرقل الذي أترك له في غير أسف خليله هيلاس (٦١) .
ومهما يكن الشبه بين صاحبك جلوكوس وبين فيدر فإني
أريدها هي لا هو .

قال :

— لم تفهم عني ، فلست أقترح عليك أن تستصحب
جلوكوس مكان فيدر ، وإنما أعرض عليك أن تستصحب

فيدر مكان جلوكوس ، وأن تخدع أريان وتخدع الناس جميعا فتخيل إليهم أنك ستستصحب الفتى . اسمع وافهم عنى ، إن من العادات التى أقرها مينوس نفسه فى الجزيرة أن يستصحب الخليل فتاه ليعيش معه فى داره شهرين كاملين ، ثم يعلن الغلام بعد ذلك إلى الناس أنه راض عن خليله وعن سيرته معه . واستصحابك لجلوكوس هذا الموهوم معناه أن تحمله إلى هذه السفينة التى جاءت بنا من بلاد اليونان ، فإذا اجتمعنا فى السفينة ومعنا فيدر مستخفية ومعنا أريان التى تحرص على مرافقتنا فأبحر بالسفينة مسرعا حتى تبعد عن الساحل . ولأهل أقريطش سفن كثيرة ولكنها أبطأ جريا من سفننا ، فإذا طلبونا فمن اليسير أن نفوتهم . تحدث فى هذا إلى مينوس وثق بأنه سيرضى عنه بشرط أن تقنعه بأنك ستستصحب جلوكوس لا فيدر ، فلن يحلم بخليل مؤدب

لجلوكوس خيرا منك . ولكن قل لى أواثق أنت بأن فيدر راضية بصحبتك ؟

— لست أدرى إلى الآن ؛ فإن أريان مَعنيَّة بألا أخلو إلى أختها بحيث لم أستطع أن أوذنها بذلك . . . ولكنى واثق بأنها لن تتردد فى صحبتى حين تعلم أنى أوثرها على أختها .

وكان يجب قبل كل شىء أن أهيئ أريان نفسها لهذه الخطة ، فأفضيت إليها بالأمر مخادعا لما دبرنا .

فلم تكد تسمع لى حتى صاحت :

— يالها خطة رائعة ! كم أنا سعيدة بالسفر مع أخى الصغير . إنك لا تدرى إلى أى حد أحبه وأوثره لظرفه وخفته . إنا متفقان دائمـا . وعلى ما بيننا من اختلاف السن ، فهو آثر الرفاق إلىّ . ليس شىء أجدر أن يوسع أفقه ويفتح عقله من إقامة فى بلد أجنبى . سيتقن اليونانية

فى أثينا ، وهو يتكلمها على نحو لا بأس به ، ولـكنه يصطنع لهجة أجنبية سيصلحها فى وقت قصير ، وستكون له قدوة صالحة . وددت لو يحرص على أن يشبهك .

وقد كنت أترك هذه البائسة تقول غير عالمة بما كان يخبأ لها .

وكان من الواجب أيضا أن ننبـه جلوكوس لنتقى كل خطر . وقد نهض پيريتوس بهذه المهمة ، وقد أنبأنى بعد ذلك بأن الفتى أحس شيئا كثيرا من خيبة الأمل ؛ فقد كان يؤثر بالطبع أن يسافر هو ، ولم يكن بد من إثارة حبه لأخته وعطفه عليها ليقبل الاشتراك فى هذا التدبير . وكان يجب أن ننبه فيدر أيضا ؛ فقد كانت خليقة أن تصيح إذا اختطفت قسراً أو مكرا . ولـكن پيريتوس إعتمد على أن الصبيين سيجدان فى هذا التـدبير ما يلهيهما ، فسيعبث جلوكوس بأبويه ، وستعبث فيـدر بأختها .

وإذن فقد دخلت فيدر فى الزى المألوف لجلوكوس ، وكانت قامتاهما متعادلتين . فلما أخفت شعرها وسترت أسفل وجهها لم يكن من الممكن أن تفطن أريان للخدعة .

ومن المحقق أنى كنت آلم لاضطرارى إلى خيانة مينوس الذى بالغ فى الإحسان إلىّ . وقد تحدث إلىّ بما كان ينتظر من الأثر الحسن الذى ستتركه صحبتى فى نفس ابنه وقد كنت ضيفه ، فقد خفرت ذمة مضيّفى ولكنى لم أحفل ، وليس من شأنى أن أحفل ، بهذا التردد الذى يبقيه وخز الضمير ، وكنت أوثر إرضاء رغباتى على الاعتراف بالجميل وعلى مراعاة اللياقة ، فكل شئ مباح ولا بد مما ليس منه بد .

وقد سبقتنا أريان إلى السفينة لتهيئ لنفسها فيها مكاناً ملائماً . ولم نكن ننتظر إلا فيدر لنسلم سفينتنا

الى الهرب . لم نختطفها حين أغلق الليـل كما دبرنا أول الأمر ، بل بعد عشاء الأسرة التى حرصت على أن تشارك فيه ، ثم اعتلـت بما ألفت من ترك الأسرة فى أثر العشاء مقدرة أن أحداً لن يفطن لسفرها قبل أن يشرق النهار . وكذلك مضى كل شىء على ما كنـا نهوى ، وكذلك هبطت إلى أتيكا مع فيدر بعد أيام . وبعد إنأنزلت أختها الجميلة المتعبة أرياذ فى جزيرة ناكسوس (٦٢) .

وقد عرفت حين وصلت أرضنا أن إيجيه أبى لم يكد يرى القلاع السود التى أهملت أن أضع مكانها القـلاع البيض كما اتفقنـا حتى ألقى نفسه فى البحر ؛ وقد أشرت إلى ذلك آنفاً واست أحب أن أعود إليه . وإنما أضيف أنى رأيت فيما يرى النائم أثناء الليلة الأخيرة أنى أصبحت ملـكا لأتيكا . . . ومهما يكن من شىء فقد كان هـذا اليوم ، يوم عيد للشعب ولى ؛ لأننـا عدنا فيه سالمين ،

ولأنى ارتقيت إلى العرش ، ويوم حداد لموت أبى . ومن أجل ذلك أنشأت من الفور حفلات تتبادل فيها الجوقات أغانى الحزن وأغانى الابتهاج . وحرصت مع أصحابى الذين نجوا أن نشارك بالرقص فى هذا الحفل . حزن وابتهاج ! كان من الملائم أن نمسك الشعب على هاتين العاطفتين المتناقضتين .

١١

وقد لامنى اللائمون بعد ذلك فى سيرى مع آريان ، قالوا إنى سرت معها سيرة الجبن ، ولم يكن يجمل بى أن أدعها ، وأن أدعها فى جزيرة بنوع خاص . سخف ؛ فقد كنت حريصاً على أن أجعل البحر بينها وبيني ؛ فقد كانت تتبعنى كما يتتبع الصائد صيده فى إلحاح . ولما استكشفت ما دبرت من مكر ، وعرفت أختها فى زى جلوكوس ثار ثائرها ، وجعلت تدفع صيحات موقعة ، ووصفتنى بالخيانة . فلما أثقلت علىّ واضطرتنى إلى أن أنبئها بأنى سأنزلها فى أول جزيرة تدفعنا إليها الريح التى أخذت

تثور ، أنذرتنى بقصيدة ستنشئها تصور فيها هـذا الهجر الوضيع . أجبتها على الفور أنها لن تستطيع أن تصنع خيراً من هـذه القصيدة التى ستكون رائعة من غير شك إن جاز أن أحكم بما كنت أرى من ثورتها ولهجتها الغنائية الصادقة ، وستكون هذه القصيدة معزية تسليها عن حزنها . ولكن كان كل ما كنت أقول لها يزيد ثورتها حدة والتهاباً . وكذلك شأن النساء حين يراد ردهن إلى العقل . أما أنا فأسلم نفسى دائماً لغريزة تدفعنى السذاجة إلى أن أثق بها

فقد دفعتنا الريح إلى جزيرة ناكسوس فتركتها هناك ، وعلمت فيما بعد أن ديونيزوس لحق بها واتخذها لنفسه زوجاً . ولعل معنى ذلك أنها تسلت بالخمر . ويقال إن الإله قد أهدى إليها يوم الزفاف تاجا من صنع ايفايستوس (٦٣) ، وإن هذا التاج يتلألأ الآن بين نجوم

السماء ، وإن ذوس قد استقبلها فى الأولمب ووهب لها الخلود . ويقال إنها شبهت بأفروديت . وقد تركت هذا كله يشاع ، بل حرصت على أن أسكت الألسنة المتهمة لى ، فبذلت ما استطعت لتأليهها ، واستحدثت لها عبادة خاصة تكلّفت أن أشارك فيها بالرقص . ومن الحق أنها ما كانت لتظفر بكل هذا الامتياز لو لم تلق منى هذا الهجران .

وهناك أحداث منحولة غنيت بها الأساطير : كاختطاف هيلانة (٦٤) وهبوط پيريتوس إلى دار الموتى ، واستحياء پروزرپين (٦٥) . فلم أحاول أن أكذب ما أشيع حول أريان من مثل هذه الأساطير رغبة فى أن يبعد صوتى ويعظم خطرى . بل لعلى أضفت إلى هذه الأساطير أساطير أخرى لأمسك الشعب على الإيمان ، وأمنعه من هذا الاستعداد للسخر من كل شىء ، كما يظهر

هذا واضحاً عند أهل أتيكا . فقد يكون من الخير أن يتحرر الشعب ، ولكن بشرط ألا يتخذ السخرية وسيلة إلى هذا التحرر .

والحق أنى منذ عدت إلى أثينا احتفظت بالوفاء لفيدر . فقد تزوجت من المرأة ومن المدينة جميعاً . كنت زوجا ، وانتقل إلىّ الملك من طريق الوراثة . وكنت أقول لنفسي : لقد انتهى عصر المغامرات ؛ فليس المهم الآن أن أفتح ، وإنما المهم أن أملك .

ولم يكن الملك شيئاً يسيراً ؛ فلم تكد أثينا توجد فى ذلك الوقت ، وإنما كانت أتيكا مجموعة من قرى صغيرة ينافس بعضها بعضاً فى التفوق ، وينشأ عن هذا التنافس ألوان من الخصومات والغارات والصراع الذى لا ينتهى . فكان يجب أن أوحد هذا كله ، وأن أركز السلطان ؛ وهو شىء لم أظفر به إلا بعد مشقة وجهد بذلت فى سبيله القوة والحيلة .

وكان أبي إيچيه يرى أن يثبت سلطانه باستبقاء الخلاف بين القرى . وقد لاحظت أن هناءة المواطنين يضيعها الاختلاف ، وتبينت أن أكثر الشر إنما يأتي من تفاوت الثروة ، وحرص كل فرد على أن ينمي ثروته . ولم أكن أنا حريصا على الثراء ، وإنما كنت معنيا بالمصلحة العامة بمقدار عنايتي بمصلحتي ، بل أكثر من عنايتي بمصلحتي ، فقد أعطيت القدوة حين أخذت نفسي بحياة بسيطة ، ثم قسمت الأرض قسمة عدلا بين المواطنين ، فألغيت التنافس والتفوق وما ينشأ عنهما من الآثام . وكانت خطة قاسية أرضت الفقراء من غير شك وهم كثرة الناس ، ولكنها أسخطت الأغنياء لأني نزعت منهم بعض ما كانوا يملكون . وكان الأغنياء قليلين ولكنهم كانوا مهرة . وقد جمعت أجلهم خطرا وقلت لهم :

— إنى لا احفل بشيء كما أحفل بالقيمة الفردية ، ولا ألتفت إلى غيرها من المزايا . لقد عرفتم كيف تثرون بما لكم من مهارة ودراية بجمع الثروة وتنميتها ، ولكنكم اتخذتم الجور والبغى سبيلا إلى الثراء فى أكثر الأحيان . والخصومة التى تثور بينكم تعرض الدولة للخطر ، وأنا أريد أن تكون الدولة قوية بمأمن مما تكيدون . بهذا وحده تستطيع أن تنعم وأن تقاوم غارة العدو . إن هذا الطمع البغيض فى المال الذى يغريكم لا يكفل لكم السعادة لأنه لا يرضى . فكلما اكتسب الإنسان تمنى أن يزداد كسبه . سأنقص إذن ثروتكم بالقوة (التى أملكها) إذا لم تذعنوا لهذا راضين ، ولن أحتفظ لنفسى إلا بحماية القوانين وقيادة الجيش ، فأما ما دون ذلك فلا يعنينى . وأنا أريد أن أعيش بعد أن وليت الملك كما كنت أعيش قبل ذلك على حظ من المساواة مع أهون الناس شأنا .

وسأعرف كيف أفرض احترام القانون وكيف أفرض احترامى إذا لم أفرض خوفى . وأريد أن يقال من حولنا إن أتيكا تدبر أمرها حكومة شعبية لا حكومة طاغية . فكل مواطن سيستمتع بما يستمتع غيره به من الحقوق السياسية ، لا عبرة بما يكون بينهم من اختلاف المولد . فإذا لم تقبلوا ذلك عن رضا فقد أنبأتكم بأنى أستطيع أن أحملكم عليه كرها .

سأهدم بل سأمحو من الأرض محا كمكم الصغيرة المحلية ، وسأهدم وأمحو من الأرض مجالسكم الإقليمية ، وسأجمع تحت الأكروپول ما أخذ الناس يسمونه أثينا ، وقد وعدت الآلهة الذين سيعينوننى بأن الأجيال المقبلة لن تعظم إلا اسماً واحداً هو اسم أثينا . وسأحرر مدينتى لپلاس (٦٦) فأما الآن وقد سمعتم فانصرفوا وأطيعوا .

ثم أضفت العمل إلى القول ، فنزلت عن مظاهر الملك ودخلت فى الصف ، ولم أتهيب أن أظهر للناس جميعا بغير حرس شأنى فى ذلك شأن المواطنين جميعا . ولكننى كنت أعنى دائما بالشئون العامة محافظا على الوفاق مقرا للنظام .

وقد استمع پيريثوس لهذه الخطبة التى ألقيتها على السادة ، فقال لى إنها خطبة رائعة ، ولكنها سخيفة . وكان يعلل ذلك بأن المساواة بين الناس ليست طبيعية بل ليست شيئا يبتغى . فمن العدل أن يتفوق الأخيار على طغام الناس بما تخولهم الفضيلة من امتياز . وهؤلاء الطغام إذا لم تثر بينهم التنافس والتزاحم والغيرة ظلوا هامدين خامدين أشبه شىء بالماء الراكد الآسن ؛ فليس لهم بد من حافز إلى العمل . فاحذر ألا يدفعهم هذا الحافز إلى الثورة بك والانتقاض عليك . وسواء أردت أم لم

ترد فإن هذه التسوية الأولى التي تطمح إليها والتي تكفل للناس جميعا تكافؤ الفرص ليسعوا إلى الحياة من مستوى واحد، ستنتهي قطعا إلى الاختلاف والتفاوت، فتنشأ طبقات تتأثر بما يتمايز الأفراد به من الكفاية وحسن البلاء، ستنشأ طبقة العامة الشقية والأرستقراطية السعيدة .

قلت :

— إني أقدر ذلك وأرجو أن يكون في وقت قريب، ولكني لا أدري لم تشقى العامة إذا كانت هذه الأرستقراطية الجديدة التي سأرعاها أرستقراطية العقل لا أرستقراطية المال .

ثم أردت أن يزداد حظ أثينا من الخطر والبأس، فأعلنت أنها تتلقى في غير تمييز ولا تفريق كل من يقبل عليها ليقيم فيها مهما يكن وطنه الأول، وانطلق الدعاة من حول المدينة يصيحون : « أيها الشعوب، هلم إلى أثينا » .

وقد ذاع ذلك حتى بلغ أبعد الآماد . أليس هذا هو الذى حمل أوديب ذلك الملك المخلوع البائس على أن يسعى إلى أتيكا يلتمس فيها الجوار والحماية ويموت فيها آخر الأمر ؟ ويتيح لى أن أكسب لهذه الأرض هذه البركة التى كتبها الآلهة لمثواه الأخير . سأتحدث عن هذا الموضوع بعض الشىء .

وقد ضمنت للقادمين على أثينا نفس الحقوق التى يستمتع بها المواطنون الأولون ، مؤجلا كل تفرقة إلى ما يسفر عنه الاختبار . فالاختبار وحده هو الذى يميز الخبيث من الطيب . ولم أرد أن أحكم على أحد قبل أن أتبين بلاءه . بحيث لا أحقق تفرقة بين الأثينيين فى الطبقة والمنزلة إلا لمصلحة النظام العام إذا اقتضت الضرورة شيئاً من ذلك بعد الاختبار . وكذلك استحق الأثينيون وحدهم بفضلى أنا اسم « الشعب » الذى أطلق عليهم

ولم يطلق إلا عليهم . هذا هو المجد الذى كسبته لنفسى والذى يربى على كل ما شيدت قديماً من مأثرة ، وهو مجد لم يبلغه هيرقل ولا چازون ولا بلليروفون ولا پرسيه .

ولم يتبعنى مع الأسف بيريتوس زميل الصبا . أما الأبطال الذين سميتهم وأبطال آخرون من أمثال ميلياجر (٦٧) وپيليه (٦٨) فإنهم وقفوا عند مآثرهم الأولى أو مأثرتهم الأولى ولم يستطيعوا أن يتجاوزوها . ولم أرد أنا أن أقف عند هذه المآثر ، وكنت أقول لپيريتوس : هناك وقت لتحرير الأرض من الخوف الذى تثيره الوحوش ، ووقت آخر لاستثمار هذه الأرض المحررة . وقت لتحرير الناس من الخوف ، ووقت آخر لتمكينهم من الانتفاع بهذا التحرير وما يتيح لهم من أمن وسعة . ولا سبيل إلى هذا إلا النظام الدقيق . ولست أقبل أن يقف الرجل جهوده على نفسه كما يفعل البيوثيون (٦٩) . ولا أن يجعل

السعادة الكاملة غايته التى يسعى إليها . وكنت أعتقد أن الإنسان ليس حرًّا وأنه لن يكون حرًّا ، وليس من الخير أن يكونه . ولكنى لا أستطيع أن أدفعه إلى أمام دون رضا ، ولا أن أبلغ منه الرضا إلا إذا خيّلت إلى الشعب أنه حر . أردت أن أرتفع به ولم أقبل أن يظل راضياً بما قسم له حانياً رأسه من الذل . وكنت أرى أن الإنسانية تقدر على أكثر من هذا ، وهى أكرم من أن ترضى بهذا . وكنت أذكر ما ألقى إلىّ ديدال من العلم حين كان يزعم أن يورث الناس أسلاب الآلهة . وكانت قوتى تأتى من ثقتى بقدرة الإنسان على التقدم .

هنالك تخلف عنى پيريتوس ولم يتبعنى ، وكان قد رافقنى وأعاننى كثيراً أثناء الشباب ، ولكنى تبينت أن استبقاء الصداقة يقفنا عن السعى أو يردنا إلى وراء . هناك مواقف لا يستطيع الإنسان أن يتجاوزها

إلا وحيداً . وإذ كان پيريثوس راجح العقل فقد ظللت أسمع لأحاديثه دون أن أزيد على ذلك شيئاً . وقد تقدمت به السن ، فجعل يترك حكمته تستنيم إلى القصد والاعتدال ، وهو الذى لم يكن يقنع بشىء . فلم تكن مشورته تهدف إلا إلى التحديد والتقييد فى كل شىء .

وكان يقول :

— ليس الإنسان خليقاً أن نشغل به أنفسنا إلى هذا الحد .

وكنت أجيبه :

— وبماذا نشغل أنفسنا إذا لم نشغلها بالإنسان الذى لم يقل كلمته الأخيرة بعد ؟

وكان يقول لى أيضاً :

— هوّن عليك . ألم تقدم بين يديك ما يكفى من العمل ؟ الآن وقد ضمنت الرخاء والدعة لأثينا تستطيع

أن تستريح إلى المجد وإلى سعادة الزوجية .

وكان يلح عليّ فى أن اعنى بفيدر ، ولم يكن مخطئا فى هذه النصيحة على الأقل . فقد يجب أن أقص الآن ما أصاب حياتى المنزلية من اضطراب ، وهذا الحداد البغيض الذى أديت به إلى الآلهة ثمن ما أتيح لى من نجاح وما اتصفت به من عُجب وتيه .

١٢

لقد كانت ثقتى بفيدر لا حد لها ، وكنت أراها تزداد جمالا وظرفاً على مر الشهور . وكانت حياتها كلها نقاء وطهراً . وكنت قد استنقذتها صبية من بيئتها السيئة ؛ فلم أقدر أنها استبقت من هذه البيئة بعض دواعى الشر . وليس من شك فى أنها ورثت بعض خصال أمها ، وكان اعتذارها فيما بعد بأنها غير مسؤولة ، وبأن القضاء قد سخرها لما أراد ، يقوم على بعض الحق . ولكن لم يكن هذا كل شىء . وأظن أنها كانت تسرف فى ازدراء أفروديت . والآلهة ذوو انتقام ، فلم يغن عنها آخر الأمر

إلحاحها فى ترضى الإلـهة بالقربان والدعاء . فقدكانت فيدر تقية . كما كانت أسرتها . ولـكن كان مما يسوء أن جميع أعضاء الأسرة لم يكونوا يخلصون لإلـه بعينه ؛ فقدكانت باسيفاييه مخلصة لذوس ، وكانت أريان مخلصة لديونيسوس . أما أنا فكنت أعبد پلاس أتينيه وأعبد پوسيدون الذى تجمعنى به صلة خفية ، والذى كان قد أخذ نفسه لشقائى بأن يستجيب لى حتى لم أدعه عبثاً فى يوم من الأيام . أما ابنى الذى ولدته لى الأمازون والذى كنت أوثره أشــد الإيثار ، فقدكان يعبد أرتيميس إلـهة الصيد . وكان عفّـا مثلها بمقدار ما كنت أنا فاجراً فى سنه . وكان يتتبع الأدغال والغابات عاريا تحت ضوء القمر ، ويتجنب القصر ومجالس الحـكم ولقاء النساء خاصة . ولم يكن يرضى عن نفسه إلا بين كلاب صيده ، يتتبع بهن إلى أعلى قمم الجبال وفى أسفل الأودية والوهاد هرب الوحوش . وكثـيراً

ما كان يروض الخيل الجامحة يجريهن على رمال الساحل ليقحمهن أمواج البحر . ما كان أشد حبي له في أطواره تلك ! فقد كان رائعاً أبياً متمرداً إلا عليّ بالطبع ؛ فقد كان يؤثرني بالإكبار والإجلال ؛ ولكن على الأوضاع التي تحد من سلطان الإنسان وتفل من عزمه . لقد كنت أريد أن أختصه بولاية عهدي ، وكنت خليقاً أن أنام هادئاً مطمئناً بعد أن أسلم أعنة الدولة إلى يديه النقيتين ؛ فقد كنت أعرف فيه الامتناع على الرغبة والرهبة جميعاً .

ولم أقدر إلا بعد فوات الوقت أن من الممكن أن تصبو إليه نفس فيدر . وكان يجب عليّ أن أقدر ذلك ؛ فقد كان يشبهني حين كنت في سنه . وقد كانت الشيخوخة تسرع إليّ على حين كانت فيدر تحتفظ بشباب غريب . ولعلها كانت لا تزال تحبني ولكن كما يحب الآباء . وقد تعلمت على حساب نفسي أن ليس من الخير أن تبعد آماد

السن بين الزوجين . ومن أجل ذلك لا ألوم فيدر فى هذا الحب الذى لا يخالف قوانين الطبيعة وإن لم يخل من بعض الإثم ، وإنما ألومها ولا أغفر لها أنها حين تبينت ألا سبيل إلى إرضاء هذا الحب اتهمت هيپوليت هذا الابن النقى الوفى بشهوتها الآثمة المنكرة . وقد كنت أباً غافلا ، وزوجاً واثقاً ، فصدقتها . وللمرة الوحيدة التى وثقت فيها بقول امرأة ، ضللت السبيل فاستنزلت سخط الإله على ابنى البرىء . وقد استجاب الإله لدعائى والناس يدعون الآلهة ولكنهم يجهلون أن الآلهة يستجيبون لهم فى أكثر الأحيان فيشقونهم ، وكذلك رأيتنى قد خضعت لإرادة مفاجئة جامحة ضالة فقتلت ابنى ، وما زلت لذلك جزعا لا أجد سبيلا إلى العزاء . وقد أحسنت فيدر حين تبينت جريمتها فقضت على نفسها الموت . ولكنى الآن وقد فقدت حتى مودة

پيريتوس أصبحت وحيـداً وقد أدركتنى الشيخوخة .

وقد تلقيت أوديب منفياً من وطنه ثيبا قد فقد عينيه وبدا عليه الضر ، ولـكنه على الأقل لم يكن وحيداً وإنما كان بين ابنتيه يحمل إليه حنانهما ما يخفف من لوعة أساه . لقد كتب عليه الإخفاق فى كل ما حاول ، وكتب لى النجاح فى كل ما حاولت حتى إن البركة التى قضاها الآلهة للارض التى تضم جثته بعـد موته لم تتح لوطنه ثيبا ، وإنما أتيحت لأثينا .

وإنه ليدهشنى ألا يتحدث الناس إلا قليلا عن التقائنا فى كولونا (٧٠) ، وعن هذه المواجهة بين مصيرينا فى آخر الشوط الذى كتب لـكل واحد منا أن يقطعه . مع أنى أنا أرى فى هذا اللقاء قمة ما أثلت لنفسى من مجد ، وتتويجاً لما قدّمت بين يدىّ من عمل . لقد أملت كل شىء ورأيت كل شىء يميـل إلىّ (إذا استثنيت ديدال ولـكنه كان

يكبرنى جداً . ومع ذلك فقد خضع لى ديدال ، نفسه .)
وكنت أرى عنـد أوديب وحده عزة تلائم عزتى ، ولم
تـكن المحن التى ألمّت به إلا لترفع فى نفسى مكانة هذا
المنهزم . لقد انتصرت من غير شك فى كل مكان وفى كل
وقت ، ولـكن فى مستوى إنسانى متواضع إذا قيس إلى
أوديب . أما هو فقد قهر أبا الهول ، وأقام الإنسان أمام
اللغز ، واستطاع أن يقفه بإزاء الآلهة . وإذن فكيف
ولماذا قبل الهزيمة ؟ بل ألم يشارك فى تحقيق هذه الهزيمة
حين فقأ عينيه ! لقد كان فى هذه الجناية التى جناها على
نفسه شىء لم أكن أستطيع فهمه . وقد أظهرته على ما أجد
من دهش ، ولـكن تعليله لم يكد يقنعنى . ذلك شىء يجب
أن أعترف به ، ولعلى لم أحسن الفهم عنه .

قال لى :

— من الحق أنى أستجبت لثورة جامحة من

الغضب ، لم أكن أستطيع أن أوجهها إلا إلى نفسى ، فعلى من كنت أستطيع أن أثور ؟ لقد رأيت هول هذه التهم المنكرة التى ظهرت لى ، فلم أجد بداً من أن أنكر وأحتج. ومع ذلك فلم أكن أريد أن أفقأ عينى بمقدار ما كنت أريد أن أشق هـذا المنظر الذى يملؤه الكذب والذى فقدت الإيمان به والذى كنت أضطرب بين مظاهره ، بل لم أكن أفكر فى شىء وإنما دفعتنى إلى ما عملت . فقأت عينىّ عقاباً لهما على أنهما لم تريا شيئاً كان من الوضوح والبداهة بحيث كان خليقاً أن يفقأ عينى ، كما يقال . . . لست أدرى كيف أبين لك عن ذلك . . . فلم يفهم أحـد تلك الصيحة التى بعثتها يومئذ : « إلىّ أيتها الظلمة . أنت ضوئى » . وأشعر أنك أنت أيضاً لا تفهم هذه الصيحة . لقد سمع الناس من هذه الصيحة شكاة ، مع أنها لم تكن إلا ملاحظة للحقيقة الواقعة . كانت هـذه الصيحة تعنى

أن الظلمة قد بددها بالقياس إلى ضوء خارق للطبيعة يغمر عالم النفوس . وكانت هـذه الصيحة تعنى : أيتها الظلمة ستكونين منـذ الآن ضوئى . وفى الوقت الذى كانت الظلمة فيه تحجب عن عينى جمال السماء كانت سماء أخرى داخلية قد أخذت تتألق فيها النجوم .

ثم سكت ولبث لحظة مغرقاً فى تفكير عميق ، ثم قال :

— لقد كانت تظن بى الفطنة أثناء الشباب . وكنت أرى نفسى فطناً . ألم أكن أول من أجاب ! بل ألم أكن الوحيد الذى أجاب على سؤال أبى الهول ! ولكن يخيل إلىّ أنى لم آخذ فى النظر الصادق الصحيح إلا منذ فقأت عينى بيدى وحلت بينهما وبين الضوء . أجل ! فى الوقت الذى يحجب فيه العالم الخارجى عن عينى إلى آخر الدهر تتاح لضميرى نظرة جديدة إلى

عالم داخلى كان العـالم الخارجى يشغلنى عنه ويحملنى على ازدرائه .

وهذا العالم الذى لا يحس والذى لا تستطيع حواسنا أن تطمع فى بلوغه ، هو فيما أعلم الآن وحده الحق . فأما ماعداه فوهم يخدعنا ويصدنا عن مشاهدة العالم الإلـهى «يجب أن ننصرف عن رؤية العالم لنرى الإلـه» . كذلك كان يقول لى ذات يوم ذلك الحكيم الضرير تير سياس ولم أكن أفهم عنه حينئذ كما أرى الآن يا ثيسيوس أنك لا تفهم عنى .

قلت :

— لا أحاول أن أنكر خطر هـذا العالم الذى تستكشفه منـذ فقدت عينيك ، ولكن الذى لا أفهمه هو أنك تجعل هـذا العالم ضداً معانداً للعالم الذى نراه ونعيش ونعمل فيه .

أجاب :

— ذلك أن نظرة الضمير هذه أظهرتني لأول مرة على ما لم أكن أرى ، فاقتنعت بهذا الذي ستسمعه . لقد أقمت ملكي الإنساني على جريمة فنشأ عن ذلك أن أصبح كل ما أتيته بعد الملك ملوثاً ، لا بالقياس إلى ما صدر عني أنا من قول أو عمل فحسب ، بل كذلك بالقياس إلى ابني اللذين تركت لهما التاج : فقد تركت من الفور ذلك الملك المخزي الذي ساقته إليّ الجريمة . وأنت تستطيع أن تعرف إلى أي جريمة جديدة دفع ابناي وأي قضاء مهين مخز قد ألحّ على كل ما تلد الإنسانية الخاطئة . وليس ابناي إلا مثلا صارخاً لهذه المحنة ؛ فهما ثمرة الإثم ، وهما من أجل ذلك أشد ملاءمة لهذه المحنة . ولكن يخيل إليّ أن هناك إثماً مستأصلا قد شقيت به الإنسانية ولن ينجو من آثاره أحد حتى الأخيار ، إلا

أن تنال الإنسانية رحمة تغسل عنها هـذا الوضر .

ثم عاد إلى الصمت لحظات كأنه كان يريد أن يمعن فى التفكير إلى أبعد مما بلغ ، ثم قال :

— إنك تدهش لأنى فقأت عينىّ ، وأنا أيضاً دهش. ولـكن لعل فى هذا العمل الأحمق القاسى شيئاً آخر هو هـذه الحاجة الخفية إلى أن أدفع حظى إلى غايته، وأبلغ بألمى أبعد آماده وأتم بذلك مصيراً من مصاير الأبطال . ولعلى أحسست فى غير وضوح ما فى الألم من جلال وتطهير للنفوس يكره البطل أن يمتنع عليه . وأعتقد أن هذا هو الذى يثبت عظمته ، وأنه لا يرقى إلى العظمة حقاً إلا حين يسقط ضحية ، فيكره بذلك الآلهة على أن يعرفوه ، وينزع من أيديهم سـلاح الانتقام . ومهما يكن من شىء فإن خطاياى وآثامى مهما تبلغ من الشناعة والبشـاعة ، لا تمنعنى الآن من أن أجد سعادة داخلية

رائعة تكافئ كل مالقيت من ألم وما شقيت به من بؤس.

قلت حين رأيت أنه أتم حديثه :

— أيها العزيز أوديب ، لا يسعني إلا أن أثني على هذه الحكمة التي تصطنعها والتي تتجاوز طاقة الإنسان . ولكن تفكيري لا يستطيع أن يرافق تفكيرك في هذه الطريق . فأنا ابن هذه الأرض ، وسأبقى ابنها ، وأرى أن الإنسان كائناً من يكون ومهما يكن حظه من هذا الإثم المستأصل الذي تشير إليه ، يجب أن يلعب بالورق الذي أتيح له في هذه الدنيا . وأكبر الظن أنك قد أحسنت الانتفاع بما كتب عليك من البؤس . ولعلك قد أمعنت في ذلك حتى أتيح لك الاتصال بهذا الذي تسميه الإله ، بل أنا أعتقد أن نوعاً من البركة يتصل بك ، ويحل كما يقال في الأرض التي تضم جثتك بعد الموت .

ولم أضف أن الذي كان يعنيني هو أن تكون هذه

الأرض أرض أتيكا ، وكنت أهنئ نفسى بأن الآلهة قد أهدوا إلىّ ثمرة ثيبا .

وإذا وازنت بين مصيرى ومصير أوديب فأنا سعيد ، لأنى أديت ما كان يجب أن أؤدى . فأنا أترك للإنسانية مدينة أثينا . لقد آثرتها على ابنى وزوجى ، وجعلتها مدينتى . وستسكنها بعد أن أموت ذكراى إلى آخر الدهر . وأنا أسعى وحيداً راضياً إلى الموت . فقد ذقت ثمرات الأرض . ويلذ لى أن أفكر فى أن الناس بعدى وبفضلى سيرون أنفسهم خيراً منا وأسعد منا وأدنى منا إلى الحرية . لقد أبليت فى خدمة الإنسانية المستقبلة ما استطعت . لقد حييت .

ملحق

(١) بيثــو : هو الاسم القديم لدلف أخذ من اسم الثعبان بيثون الذى قتله أبولون قريبا من المكان الذى أقيم فيه معبده .

(٢) كدموس : منشئ مدينة ثيبا يقال إنه إبن ملك فينيقى عبر البحر باحثا عن أخته التى اختطفها ذوس . فلما وصل إلى مكان ثيبا وجد تنينا خطرا فقتله ونثر أسنانه فى الأرض فنشأ منها رجال مسلحون هم بناة المدينة وأصل أهلها .

(٣) ليكوس : ملك من ملوك الأساطير كان صديقا لهرقل .

(٤) امفيون : بطل من أبطال اليونان ولد من صلة بين ذوس وأنتيوب وأهدى إليه أبولون ربابة من ذهب وقد ملك ثيبا وأقام أسوارها . كان يوقع على ربابته فتتسابق الأحجار إلى أماكنها من هذه الأسوار .

(٥) البرناس : جبل يونانى قريب من دلف يرمز به إلى الشعر والفن لمكانه من معبد أپولون .

(٦) هيپوليت : ابن ثيسيوس من زوجه انتيوپ ملكة الأمازون .

(٧) پان : إله يونانى للمراعى والقطعان اخترع المزمار له قرن المعز وأرجله وفى يده محجن .

(٨) ذوس : أبو الآلهة وعظيمهم وملك الآلهة والناس إليه تصريف شؤون الكون كله بقوته القاهرة وحكمته الخفية وهو مع ذلك لا يفلت من سلطان القضاء .

(٩) ثيتيس : إلهة من آلهة البحر تزوجت ملكا يونانيا هو پيليه ، فولدت له آخيل أعظم أبطال اليونان خطراً .

(١٠) پوسيدون: إله البحر وهو أخو ذوس وهو خالق الخيل وهو مجمع العواصف ومفرقها .

(١١) إيجيه : ملك أثينا وهو أبو ثيسيوس على ما ترى حول هذه الأبوة من كلام فى القصة التى كتبها أندريه جيد وفى حياة العظماء التى كتبها بلوتارك .

(١٢) افروديت : هى الزهرة أو ڤينوس باللاتينية ، وهى إلهة الجمال والحب نشأت من زبد البحر .

(١٣) اقريطش : جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط لها مكانتها الممتازة فى الحضارة الايجية التى سبقت حضارة اليونان .

(١٤) ميديه : ساحرة خطفها جازون من كولشيد ـ فى القوقاز ـ فلما تركها أثارها الغيظ ، فذبحت بنيها ثم انتهت إلى أثينا فتزوجها ملكها ايجيه وهمت بأن تسم ابنه ثيسيوس فلم تفلح وطردها الاثينيون .

(١٥) جورجونى : وحوش غريبة مروعة مؤنثة وكن ثلاثا يمسخن من ينظر إليهن حجرا .

(١٦) بلليروفون : بطل من أبطال كورنت أحبته ملكة ارجوس ولم تجد عنده لحبها صدى . فزعمت لزوجها أنه أراد بها السوء . هنالك كلفه ملك أرجوس مغامرات كثيرة خطيرة خرج منها ظافرا .

(١٧) بيريپتيس: قاطع طريق مشهور وهو ابن ايفايستوس .

(١٨) ابيدور : اسم لمدن ثلاث يونانية أشهرها فى الجنوب الشرقى لليونان قريبا من أرجوس .

(١٩) بروميثيوس: مارد سرق النار من الآلهة وأهداها إلى الناس فعلمهم الحضارة ، وعاقبه كبير الآلهة على ذلك فشده إلى صخرة فى القوقاز وسلط عليه نسرا ينهش من كبده التى لا تكاد تفنى حتى تتجدد وما زال كذلك حتى أنقذه هيرقل .

(٢٠) بيريثوس : صديق ثيسيوس ورفيقه فى مغامراته الكثيرة ، هبط معه إلى دار الموتى لانقاذ برسيفونيه فلم يعد .

(٢١) هيرقل : بطل اليونان الأكبر ، ولد من صلة بين كبير الآلهة وبين ألكمين من أهل ثيبا وعرف بمغامراته الاثنتى عشرة وهو الذى أنقذ ثيسيوس من دار الموتى حين هبط إليها مع بيريتوس ، أهدت إليه زوجه قميصا مسموما قدرت أنه سيرده إليها فأذاقه الموت .

(٢٢) أمفال : ملكة ليديا ، شغف حبها قلب هيرقل فأذله حتى اتخذ المغزل بين يديها كما تصنع النساء .

(٢٣) انتيوب : ملكة الأمازون تزوجها ثيسيوس فولدت له ابنه هيبوليت .

(٢٤) الأمازون : شعب من النساء المحاربات كان يعيش على ساحل البحر الأسود غزاه هيرقل وبلليروفون وثيسيوس الذى تزوج ملكته .

(٢٥) بيتيه : ملك يونانى قديم كان يعرف بالحكمة وهو جد ثيسيوس لأمه .

(٢٦) تريزين : مدينة فى الشرق الجنوبى لبلاد اليونان كان يملك عليها بيتيه وفيها ولد حفيده ثيسيوس .

(٢٧) بيلوبونيز : هو شبه الجزيرة الذى تنتهى به بلاد اليونان جنوبا ويعرف الآن باسم مورا وهو يتخذ اسمه القديم من بيلوبس الذى فتحه .

(٢٨) سنيس : قاطع طريق مشهور يقال إنه من ولد بوسيدون قتله ثيسيوس .

(٢٩) بروكروست : قاطع طريق مشهور فى آتيكا قهره ثيسيوس .

(٣٠) جيريون : مارد ذو رؤس ثلاثة وأجسام ثلاثة قهره هيرقل وساق قطعانه .

(٣١) سيرسيون : قاطع طريق من ولد بوسيدون قتله ثيسيوس .

(٣٢) سيرون : قاطع طريق فى برزخ كورنت قتله ثيسيوس .

(٣٣) بيريجون : بنت المارد سينيس منحت ثيسيوس أحد أبنائه .

(٣٤) مينانيب : هو الابن الذى ولدته بيريجون لثيسيوس .

(٣٥) مينوس : أول ملوك أقريطش وهو زوج باسيفاييه وأبو أريان وفيدر . ويقال إن الآلهة اختاروه قاضياً في دار الموتى .

(٣٦) أندروچيه : ابن مينوس ملك أقريطش وزوجه باسيفاييه .

(٣٧) المنيوتور : كائن غريب فيه ملامح الانسان والثور ولدته باسيفاييه ملكة أقريطش حين أحبت ثورها الأبيض . وقد قتله ثيسيوس .

(٣٨) باسيفاييه : زوج مينوس ملك أقريطش أحبت ثوراً أبيض فولدت له المينوتور الذي حبسه زوجها مينوس في اللابيرنت .

(٣٩) أمنيسوس : ثغر في جزيرة أقريطش .

(٤٠) كنوسوس : مدينة في أقريطش كانت عاصمة للملك مينوس .

(٤١) ألكيون : طائر خرافي من طير البحر .

(٤٢) ليتوس : مدينة في أقريطش .

(٤٣) جورتين : مدينة فى أقريطش .

(٤٤) رادامنث : هو آخو مينوس ملك اقريطش ، ولد جميعا لذوس من عشيقته الفنيقية أوروپ . وكلاهما كان مشرعا فى حياته وقاضيا بعد موته .

(٤٥) ديدال : مهندس ومثال أثينى بنى اللابيرنت لمينوس .

(٤٦) اريان : هى ابنة مينوس وپاسيفاييه آحبت ثيسيوس فأنقذته بخيطها من اللابيرنت وفرت معه ولكنه تركها فى بعض الطريق .

(٤٧) فيدر : هى أخت اريان تزوجها ثيسيوس فأحبت ابنه الشاب هيپوليت ولم تجد عنده صدى لحبها ، فاتهمته عند أبيه وكان ذلك سبباً لموته . ثم أخذها الندم فقتلت نفسها .

(٤٨) جلوكوس : ابن مينوس وباسيفاييه .

(٤٩) ليدا : زوج تندار ملك اسبرتا أحبها ذوس فولدت ابنيها كستور وبولوكس وابنتيها هيلانه التى سببت حرب طروادة وكليتملستر التى قتلت زوجها أجاممنون .

(٥٠) أوروب : بنت اجينور ملك فينيقيا أحبها ذوس واختطفها فولدت له مينوس ملك أقريطش وآخاه رادامنت

(٥١) اللابيرنت : قصر بناه ديدال لمينوس ملك أقريطش وفيه كان سجن للمنيوتور ومن خصائصه أن من دخله لا يستطيع أن يجد منه مخرجا .

(٥٢) إيكار : ابن ديدال حاول أن يطير بجناحين من ريش وشمع ، فأذابت الشمس جناحيه فهوى ومات .

(٥٣) تالوس : كان قريبا لديدال ومن تلاميذه .

(٥٤) موريس : بحيرة كانت فى الفيوم يقال الآن إن بحيرة قارون من بقاياها .

(٥٥) أوريون : مارد هائل كان مولعا بالصيد ودفعه الغرور إلى مباراة إلهة الصيد أرتميس التى نقمت منه فسلطت عليه عقربا لدغته فمات . ثم جعله الآلهة نجما من نجوم السماء .

(٥٦) تنتال : ملك من ملوك ليديا أسرف على نفسه فى الغرور وسخر من الآلهة ، فقدم إليهم فى بعض الولائم لحم ابنه . وقد غضب عليه ذوس فأرسله إلى الجحيم وقضى عليه أن يشتهى دائما ولا يجد لشهوته شفاء على قرب الشفاء منه . فالثمر فى متناول يده ولكنه لا يبلغه ، والماء قريب من شفتيه ولكنه لا يذوقه .

(٥٧) سيزيف : بطل من أبطال اليونان أنشأ مدينة كورنت ، وكان حكيما ماكرا داهية عاند الآلهة وسخر منهم وقيد الموت حتى ضج منه الآلهة أنفسهم ، ثم قهروه آخر الأمر وقضوا عليه أن ينفق الدهر كله فى دفع صخرة من أسفل الجبل إلى قمته . ولكن صخرته لا تنفك تهوى إلى القاع كلما أوشكت أن تبلغ القمة .

(٥٨) جازون : بطل من أبطال اليونان غامر مع جماعة من أترابه فى طلب الجزة الذهبية وقتل حارسها وهو تنين عظيم الشر كان يلفظ النار من فمه .

(٥٩) برسيه : بطل من أبطال اليونان ولدته دنائيه حين أحبها ذوس وتمثل لها مطرا من ذهب .

(٦٠) سنتور : كائنات غريبة قوية كانت لها ملامح الانسان والفرس وكانت بينها وبين الآلهة والأبطال صلات وخطوب .

(٦١) هيلاس . كان صديقا شابا لهرقل رافقه فى بعض مغامراته ومات فى إحدى هذه المغامرات ، فلم يتعز عنه هرقل .

(٦٢) ناكسوس : جزيرة فى بحر ايجيه ترك فيها ثيسيوس صاحبته اريان .

(٦٣) ايفايستوس: إله الحديد والنار وهو ابن ذوس أحفظ أباه ذات يوم فقذف به من أعلى الأولمب إلى الأرض فهو يعرج دائما .

(٦٤) هيلانة : بنت ذوس ولدتها له ليدا وقد فتن بها أبطال اليونان خطفها ثيسيوس ثم ردها أخواها ، ولكن باريس خطفها بعد ذلك إلى طرواده . فكانت سبباً فى الحرب المشهورة .

(٦٥) پروزرپين : بنت ديمتر إلهة الارض والخصب خطفها كبير آلهة الجحيم واتخذها لنفسه زوجا .

(٦٦) بلاس : اسم من أسماء آلهة أثينا حامية مدينة أثينا .

(٦٧) ميلياجر : بطل يونانى علمت أمه أنه سيموت إذا التهمت النار عودا كان فى الموقد حين ولادته . فلما ولد أخذت امه هذا العود فأطفأته واحتفظت به فعاش ابنها حتى شارك فى مغامرات كثيرة خطيرة . ولكنه أحفظ أمه حين قتل أخويها فألقت العود فى النار ولم يكد يحترق حتى مات البطل .

(٦٨) بيليه : أبو أخيل بطل الألياذة وقد ولد له من زوجه الاله تيتيس .

(٦٩) البيوثيون : سكان فى بلاد اليونان الوسطى قاعدتها ثيبا وكان اليونان يضربون بهم المثل فى اكتفائهم بحياة الرخاء والغباء .

(٧٠) كولونا : ضاحية من ضواحى أثينا .